GATE OF CURSES



# باب اللعنات

رواية



محمد عصمت







الكتاب: باب اللعنات

المؤلف: محمد عصمت

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

تدقيق لغوي: إسلام عشري

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٥١٤٥

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٧٧٨-١٦٣-٣




٢٠ عمارات منتصر – الهرم – الجيزة

ت: ٠٢-٣٣٨٥٦٠٣٧٢

محمد عصمت

باب اللعنات

رواية




بسم اللّه الرحمن الرحيم

# إهداء

للشقي والجميل أوي هادي

أجمل حاجة حصلت في حياتي

ربنا يخليك ليا وتفضل تتعبني وتتشاقي براحتك

والصُغنن الحلو إياد

منور الدنيا يا حبيب بابي

يلا إكبر شوية بقي عشان نلعب سوا

ربنا يخليكوا ليّا

# إهداء

إلى المرأة التي أحب

إلى مهربي من قسوة الأيام

إلى مصدر سعادتي وسبب وجودي

إلى الجميلة التي تجمّلت دنياي بوجودها

ورغم أنكِ تأخرتِ قليلًا إلا أنك دومًا كنتِ هنا من أجلي

دومًا كُنتي أمانًا أتنفسه

وستظلين دومًا إدمان أتمنى ألا أشفى منه

إليك ...

وإليك وحدك ...





(مقدمة)

كانت تلك مرة من المرات القليلة التي يصدق فيها خبراء الأرصاد الجوية، قالوا صباحًا و ملؤوا الدنيا ضجيجًا بشأن العاصفة الهوجاء التي ستصيب البلاد ليلًا. حذروا من النزول إلى الشوارع بعد المغرب، حذروا في الصحف، برامج التلفاز وبرامج الراديو، لكن أحداً لم يحذر حلمي الحاوي من مرض أمه.

تململ في فراشه بحنق وهو يسمع هاتفه يرن، يبدو أن لعينًا آخر أخطأ في الرقم؛ فحلمي لا يتوقع أية مُكالمات في مثل هذا الميعاد. وضع الوسادة فوق رأسه وهو يحاول العودة إلى النوم مرة أخرى، لكن قدره وقف يراقبه بشماتة وهو يقوم من فراشه ساخطًا، كان يلعب ويسب وهو يمسِك بهاتفه. للوهلة الأولى لم يستطع تبين اسم المُتصِل بسبب النوم الذي لا يزال يملأ عينيه، أغلق عينيه للحظات صمت فيها الهاتف. تمنى لو يخرس للأبد لكن ليس كُل ما يتمناه المرء يُدركه. رن هاتفه مرة أخرى، فتح عينيه هذه المرة وهو يقرأ الاسم الذي ظهر أمامه بوضوح..





## (نجلاء تتصل بك)

رفع حاجبيه في دهشة، نجلاء شقيقته التي لم تُحدثه منذ سنوات طويلة تتصل به للمرة الثانية، نفض آثار النوم عن رأسه وهو يشعر بالقلق. أجابها وصوته يرتجف قلقًا: «نجلاء! خير؟»

أجابته بجمود وبرود: «ليس خيرًا بالطبع، أمك تحتضر وتريدك»

شعر بقلبه ينخلع من مكانه. رغم أنه كان يعلم بقدوم هذا اليوم، وجهز نفسه كثيرًا لمواجهته لكن الحقيقة شيء مُختلف عن الخيال، شعر بريقه يجف وقلبيه يرتجف هلعًا وهو يقول: «هل أنتِ مُتأكدة؟»

صمتت قليلًا، سمع همسًا يدور بينها وبين شخص ما؛ لم يتبين ماهيته بجوارها قبل أن تقول بحزم: «الطبيب يقول أن المسألة بضع ساعات فحسب. حلمي، أمك تريدك.. دع بلاهتك جانبًا وأسرع كي تراها قبل أن تموت»

أغلقت الخط تاركة إياه فريسة لحيرة لا تنتهي وخوف ينهش في قلبه. لن تموت نبيهة قبل أن يراها، لن يسمح للقدر أن يحرمه من التواجد بجوارها في لحظاتها الأخيرة، خصوصًا وهو أكثر





من يعلم بقسوة مرضها وبالألم الذي أصابها في الشهور الأخيرة.

سمع صوت اهتزام المطر من خارج البيت، كان يعرف جيداً بتلك العاصفة وكان يمني نفسه بالبقاء في البيت ليومين أو ثلاثة حتى تهدأ العاصفة تماماً، لكن للقدر ترتيبات أخرى..

ارتدي ملابسه في غضون دقائق وخرج سريعًا في الظلام يحتمي بحقيبته من المطر.. كان يعرف حالة سيارته ويتذكر جيداً تحذيرات فؤاد الميكانيكي، لكن لا وقت لتلك التراهات الآن، نبيهة تحتضر. فليذهب الكون إلى الجحيم إذا. لن يتركها لهؤلاء الوحوش، لن تموت إلا بين يديه، دلف إلى سيارته سريعاً وهو يمسح حبات المطر عن وجهه بيده، سمى اللّه سُبحانه وتعالى قبل أن يدير سيارته، عادةً تحتاج لبعض الوقت كي يسخن محركها وتدور، خصوصاً في الأيام الباردة والصباحات المُمطرة. لكنها اليوم كانت مُطيعة وكأنها تعلم جيداً ما يعتمر بقلبه. ابتسم بمرارة وهو ينظر للسماء كأنما يشكر خالقه. داس دواسة البنزين بقدمه بقوة، كان ينتقم منها لفعل لم تفعله، لكن أحداً منا لا يستطيع دهس الدنيا بقدمه، لا نملك سوى الابتسام بمرارة مثلما فعل وحمد اللّه. لكل قوي الأقوى منه إلا دنيانا لا يقدر عليها سواه سُبحانه وتعالى..

عليه أن يقود ما يقارب من الخمس ساعات كي يصل لنبيهة. نظر للسماء وعينيه تدمعان وهو يقول همساً ببطء وكأن الكلمات تقطع نياط قلبه وهي تخرج: «انتظريني يا نبيهة، انتظريني يا أمي»

بكت السماء حزناً، دوى هزيم الرعد مُتضامناً مع أحزانه، يرى الطريق بغير وضوح. لا يعرف هل بسبب الدموع التي تتزاحم في عينيه وقد ضاق بها صدره أم بسبب قطرات المطر التي تتساقط على زجاج سيارته الأمامي بغزارة أكبر من قدرة المسّاحة علي طردها بعيداً.. لكن لا شيء من هذا يهم، المُهم أن يلحق بنبيهة.

ضغط دواسة البنزين بمرارة أكبر طارداً صوت الميكانيكي من رأسه. ضارباً بتحذيراته عرض الحائط، تزداد العاصفة سوءاً، ويتناسب شكه معها طردياً، يزداد بدوره ليملأ قلبه. هل كان عليه أن يُسرِع ويقتحم تلك العاصفة. في النهاية كُل مقدر سيكون والأعمار بيد اللّه، لكن أجابه قلبه بمُنتهى الحزم، نبيهة تستحق..

كان الطريق مُظلماً والعاصفة شريرة للغاية، يكاد لا يرى سوى بضع ميليمترات أمامه، لكن قلبه مطمئن أن الطريق خال أمامه. فلن يخاطر أي مجنون بقيادة سيارته على الطريق السريع في مثل هذا الطقس، تشنج ذراعه على المقود وهو





يضغط على شفته السُفلى في عادة ورثها عنها. خفض عينيه عن الطريق للحظات يبحث عن شريط قرآن كريم يحتفظ به دومًا في السيارة، سورة البقرة بصوت القارئ الشيخ مشاري بن راشد العفاسي، لكن الشريط اختفى.. نظر أرضًا يبحث عنه لكن لا أثر له، يبدو أن الميكانيكي مارس عادته في السرقة مرة أخرى.

رفع عينيه مرة أخرى نحو الطريق ليراهما...

رآهما بسبب البرق الذي أضاء السماء في تلك اللحظة خصيصًا كي يتمكن حلمي من رؤيتهما، حاول أن يتفاداهما لكن الطريق زلق والفرامل مُعطلة. السيارة تطير نحوهما بسُرعة جنونية، حاول مرة تلو الأخرى، لكن الفرامل لا تستجيب له، السيارة تنزلق على الطريق السريع، يعرف جيدًا أنه أمام أمران لا ثالث لهما، إما أن يصدمهما بالسيارة ويقتلهما، أو ينحرف عن الطريق ويقتل نفسه. أغلق عينيه وهو يدعو ربه أن يجد حلًا لتلك المُعضلة، حين فتح عينيه مرة أخرى كانا قريبين للغاية، فجأة التفت أحدهما له، رآه جيدًا بفعل البرق، رأى نظرة الشر الخالص التي تتجلى في عينيه، رأى نظرة التحدي التي لمعت في عينيه قبل أن يختفيا من أمامه فجأة.

مرت السيارة بسُرعتها من المكان الذي كانا يقفان به. نظر حلمي أمامه بدهشة، قبل أن ينظر للخلف متجاهلًا المرآة الأمامية المُعلقة أمامه. كانا خلف السيارة، نفس الشخص ينظر له وهو يبتسم ابتسامة ساخرة، حرك شفتيه وهو يقول شيئًا، هل قال وداعًا؟ أم أن حلمي يتخيّل!

أدرك أنه ينظر خلفه وهو يقود سيارته بسُرعة جنونية، نظر أمامه مُسرعًا. لحظة واحدة فقط، هي كُل ما تحتاجه لتدرك أن الأوان قد فات.

تلك كانت اللحظة التي عاشها حلمي كألف عام وهو يرى سيارته تطير عاليًا.. لم ينتبه للمنعطف وتجاوزه، انتهى الطريق المُمهد من تحت سيارته التي طارت عاليًا وهي تستعد للارتطام بالأرض بقوة، يبدو أنه سيلقى نبيهة في النهاية لكن ليس في هذا العالم، إذا كان الرجل يقول وداعًا ولم يكن حلمي يتخيل.

اصطدمت السيارة بالأرض وهي تنقلب على ظهرها، لكن الأمر لم ينتهِ. بمثل هذه السُرعة لن تنقلب السيارة مرة أو اثنتين فحسب، سيكون محظوظًا لو كان الرقم أقل من عشرة مرات.

انقلبت مرة





تذكر فيها طفولته. كان دومًا مكروهًا بين إخوته بسبب قربه الزائد من أمه. كانت تحنو عليه لدرجة كبيرة، فرقت بينه وبين إخوته كثيرًا دون أن تدري. هذا خلق صدعًا ضخمًا بينه وبين شقيقه وشقيقته، ناجي ونجلاء، شعرا بالإهمال، بالحقد وبالحسد. لم يشعرا يومًا أنهما ابني لتلك المرأة مثله.

كانت تقلق عليه، ولا تهتم بأمرهما، فناجي كبير بما يكفي ونجلاء في حمى أخيها الكبير.

تهتم بطعامه وشرابه، ولا تهتم بشأنهما، فناجي كبير بما يكفي ونجلاء في ظل أخيها الأكبر.

تهتم بملابسه ونظافته الشخصية، فناجي كبير بما يكفي ونجلاء آنسة ويجب أن تتعلم كيف تهتم بنفسها الآن.

تهتم بدروسه ومذاكرته، فناجي كبير بما يكفي ونجلاء ستتزوج آجلًا أم عاجلًا وستجلس في بيتها..

في النهاية، كبر كره شقيقهما بداخلهما بما يكفي ونجلاء صارت أمًا وأختًا لشقيقها الأكبر.

لكنهما لم يسلاها بيومٍ عن سبب ما تفعله. وربما لو سألاها وسمعا إجابتها لعلما السبب. ربما أيضًا





سيعلمان بشأن اسمه المُختلف عن ناجي ونجلاء.
لماذا سمته حلمي؟

مرتين

حلمي شقيق نبيهة الكبير، يهتم بها ويحبها أكثر من أبيها وأمها. كان يكفي فقط أن تحلم نبيهة فقط وسيكون على حلمي أن يحقق حلمها كأنه أمر. كان يقوم بتوصيلها إلى مدرستها صباحًا قبل أن ينطلق للحقل لكي يعمل. قبل أن يعود في ميعاد خروجها بالدقيقة ليمشي معها إلى المنزل. لعودتهما طقوس، أولها وردة من حقل عم غريب–بعد إذنه طبعًا– كوب عصير قصب من معصرة السماح، وقطعة شكولاتة من أم مهدي التي تقف بمحل زوجها الذي سافر للخارج. لم يتغيّر روتينهما يومًا رغم مرور الأيام.. لكن مرضًا شديدًا ألم بحلمي. وغلبته آلامه يومًا فنام دون أن يستيقظ كعادته ليمشي معها إلى المدرسة. كانت تعلم جيدًا أنه مريض، تركته نائمًا وخرجت تتمشى وحيدة في الصباح الباكر بين الحقول بطريق مُختصر إلي مدرستها التي تنتظرها علي حدود القرية. رآها بهاء شبانة وهي تمشي وحيدة بين الحقول، أعجبه جسدها ومشيتها المليئة بالدلال، ذكره زي المدرسة التي ترتديه بفيلم إباحي رآه بالأمس كانت بطلته ترتدي ملابس مدرسة هي الأخرى.





أسرع خلفها وغازلها، تجاهلته وحثت الخطى، لكن شيطان شهوته كان أقوى. أمسكها من ذراعها محاولًا أن يوقفها.. كان قويًا فسقطت أرضًا. انحسرت تنورتها ليظهر جزءا من فخذها. سال لعابه وأعماه شيطان شهوته، هجم عليها محاولًا تثبيتها أرضًا وتقبيلها رغمًا عنها، هكذا رأى في الأفلام الإباحية، القبلة تذيب كُل القيود وتمحي كُل آثار المقاومة.

لكنها استمرت في المقاومة. صرخت بقوة، نادته بألم وارتياع، يا حلمي.. سمعها قلبه قبل أذنيه، انتفض رغم الحمى التي تسيطر عليه، قام مُترنحًا من فراشه وهو يعدو كالمجنون بين الحقول, رآهما، هاجم بهاء بقبضته سريعًا، لكمة واحدة كانت كافية لطرح ابن شبانة أرضًا. وضربة فأس واحدة كانت كافية لقتل حلمي.

مات حلمي أمام عينيها مُدافعًا عنها، ولكن الحياة لا تقف. استمرت في حياتها، تزوجت وأنجبت، ناجي ونجلاء، كادت تنسى حلمي تمامًا، لكن حين رزقها اللّه بطفلها الثالث وجدت ملامحه شبيهة للغاية بحلمي شقيقها الأكبر فسمته على اسمه. ولهذا كان حلمي الصغير هو كُل حياتها، لكنهما لم يسألا ولم يعرفا.

انقلبت أربعة مرات





كانت تسكُن في قرية صغيرة من قرى الريف المصري، لذا كان انتشار الشائعات أسهل بكثير. حين مات حلمي، لم تكتفِ عائلة شبانة بالاستعانة بوساطة أحد أقربائهم العاملين بالنيابة من أجل استغلال علاقاته من أجل خروج بهاء سالمًا من القضية. ولكن قريبهم لم يكتفِ بهذا بل رفع قضية على عائلة حلمي-رحمه اللّه- من أجل الحصول على تعويض ضخم. ومن ناحيتهم لم يتأنوا عن إلحاق الضرر بعائلة حلمي ونبيهة وبطريقة مُمنهجة..

ذهب خضر شبانة والد بهاء إلى والد حلمي، الذي كان فلاحًا مسكينًا عكس خضر الذي يمتلك عدة حقول ويعمل بالتجارة. عرض عليه التنازل عن القضية مقابل نسيان ثأر حلمي. وهوّل الأمر أمام بدوي للدرجة الذي جعلت بدوي يوافق، ولأن خضر لا يثق ببدوي، عرض عليه أن يزين إيصال أمانة بتوقيعه كي يضمن ألا يشتكيه بدوي فيما بعد أو يغدر به ويقتل ولده. وكأن الموت حلال على حلمي حرام على بهاء. ولأن بدوي لا يملك من الدنيا سوى حطامًا لا يسمن ولا يغني من جوع وافق خوفًا من مطالبتهم بمبلغ مادي ضخم. وبالفعل تنازل السيد خضر عن القضية وهدأت القرية قليلًا..

لكن بعد عدة أيام بدأت عدة شائعات تنتشر عن حدوث علاقة جنسية بين نبيهة وبهاء، برضاها





وبرضا شقيقها حلمي الذي كان يأخذ مبلغًا ماليًا بشكل دوري مقابل سكوته عن تلك العلاقة الآثمة. لكن الجشع أعمى عيني حلمي وطالب بهاء بمبلغ أكبر. الأمر الذي رفضه بهاء ونشبت مشادة بينهما حاول فيها حلمي قتله، دافع بهاء عن نفسه خوفًا على حياته.

وانتشرت تلك الشائعة انتشار النار في الهشيم، وفجأة وجدت عائلة الحاج بدوي سمعة ابنتها ملوثة وشقيقها الأكبر ميت. ولأن المصائب لا تأتي فرادى، وصل مُحضَر من المحكمة.. هناك قضية رفعها السيد خضر على بدوي، لأنه اقترض مبلغًا من المال ولم يرده في ميعاده. شعر بدوي أن الدنيا تضيق به ولأنه أضعف من أن يواجهها، استقبل الموت بصدرٍ رحب ومات أثناء نومه حزنًا وكمدًا.

انقلبت ستة مرات

ليل بارد وظلام حالك. وجدت أسرة بدوي نفسها في رحلة هروب من القرية، هروب من ثأر لن يأخذوه. إيصال أمانة لا يعرفوا عنه شيئًا. وشرف ضاع بين الشائعات.. هطلت دموعها كأمطار ليلة غزيرة، وملأ رعد الحزن صدرها وهي ترتجف. وبين الحزن والخوف والبرد ضاعت ارتجافات جسدها. سافروا بين القرى والمدن واستقر بهم الحال في قرية ريفية أخرى، وجدت نبيهة نفسها فتاة حسناء تبكي حالها

وسمعة لوثها الكذب. لكن يبدو أن حزنها زادها حسنًا، وبكائها زادها فتنةً، رآها فرج الحاوي، سليل عائلة الحاوي كبرى عائلات البلدة وسحرته نبيهة. سحرته لدرجة أنه لم يفكر مرتين قبل أن يطرق باب أمه ويخبرها برغبته في الزواج. لكم أن تتخيلوا حالة أمه حين أخبرها بالأمر، هي التي اعتقدت أنه مربوط حين رفض أكثر من ثلاثة عشر عروسًا، بين الطبيبة والأمية. وشعرت بالدهشة أكثر حين سألته عن تلك الفتاة التي سلبت عقله وأجابها أنها البكاءة كما يطلق عليها أطفال القرية.

بالطبع رفضت رفضًا قاطعًا. تلك فتاة لا نعرف لها أصلًا ولا فصلًا. لا نعرف من أين أتت ومن أين تهرب. لكنه صمم على رأيه ورفض أن يناقشها غاضبًا، وخرج من غرفتها ثائرًا كالبركان... رددت خلفه بصوتٍ هامس: «مسحور. هذا الفتى مسحورا»

قبل أن تبصق في الهواء عن يسارها وهي تقول: «اللهم احفظنا»

وكأي أم مصرية أصيلة ائتمنها ابنها على سر فأصبح مشاعًا للجميع، أعلمت أبيه وأشقائه بنيته الزواج من البكاءة. كان والده حكيمًا، عرف أنه لو منع ولده من الارتباط بها فإن عنده سيجذبه كالمغناطيس.. لذا كان عليه البحث عن طريقة أخرى، أرسل رجاله كالجراد ينتشرون في كُل مكان





يبحثون عن أصلها. مع وعدهم بمكافأة كبيرة لمن يخبره بذلك، وسرعان ما أتاه الخبر اليقين..

علم كُل شيء، وبدأ يفكر في طريقة مُناسبة يجبر بها تلك الفتاة على مُغادرة البلدة. وبالفعل وجدها، اصطدم بأمها في أحد الأسواق، وقف ينظر لها غاضبًا قبل أن يسبها أمام الجميع وينعتها بأم العاهرة. حاولت الأم الدفاع عن ابنتها، لكنها فوجئت أنها تقف أمام شخص يعرف تاريخهم بأكمله. واجهها بالحقيقة أمام الجميع، لم يرحمها، وسُرعان ما أصبحت طاردتهم سمعتها الملوثة للمرة الثانية رغم اختلاف المكان.

في الصباح رحلوا عن القرية، لكنهم دخلوها أربعة وخرجوا منها خمسة

ازدادوا واحداً.

انقلبت ثمانية مرات

أطلق الحاج سلمان الحاوي رجاله خلف ابنه وزوجته، أو أطلق كلابه كما يحلو لفرج أن يسميهم. بالطبع، كان مُقتنِعًا تمام الاقتناع أن تلك الفتاة سحرت فرج ليتبعها، سيطرت على تفكيره وسلبته لبه. ولماذا فعلت كُل هذا؟ من أجل النقود، ملعونة النقود ليوم الدين، لكنه في خضم غضبه تجاهل حقيقة





هامة، إرادة ولده، ولده الذي تبع قلبه المتّيم بالبكاءة، قلبه الذي شعر بالحياة للمرة الأولى بقربها.

ورغم معارضة أمها لزواجهما لأنهم كالمطاريد. إلا أنها علمت أن الفتى الذي ترك أهله لن يهمه في هجرها شيء. تزوجها على سنة اللّه ورسوله، كان الفتي قد أخذ بعضًا من ماله أو لنكن أكثر دقة من مال أبيه، برر لنفسه فعلته بأن هذا ميراثه ومن حقه، تجاهل أن أبيه حيًا يرزق. وتجاهل أنه عصاه. لكنه عرف كيف يجد لنفسه مبررًا، تزوجها وانتقلا لقرية أخرى. تلك المرة دخلوها برواية مختلفة، هاربون من الثأر هم، محتمين بأهلها وبكرم أهلها، فعلوا هذا كي يحموا أنفسهم، داعبوا وتر الشجاعة داخل أهل القرية، شرحوا لهم أن أهل القتيل يبحثون عنهم بين القرى والنجوع، بالتالي حين يأتي رجال سلمان إلى تلك القرية باحثين عنهم لن يدلهم أهل القرية وسينكروا وجودهم تمامًا.. ونجحت خطتهم وظلوا بأمان لفترة طويلة؛ انتفخت فيها بطن نبيهة وهي تنذر بصغير يطرق باب الحياة ليأتي. أراد فرج أن يسميه سلمان على اسم والده لكنها رفضت رفضًا تامًا. أسمته ناجي، بحثًا عن النجاة من مصير يخشونه. وافقها الرأي، فهي الأم، هي من حملت وتعبت، هي من ترضع وتتعب. وهي من ستربي وستتعب؛ أملًا في





إقناعها في تسمية الجنين الثاني سلمان، لكنها كانت فتاة. سرقت قلب أبيها من أمها، خبأته خلف ظهرها وأخرجت لها لسانها. لكن فعلتها كانت مُحببة للأم، أسموها نجلاء لأنها كانت واسعة العينين عن حُسن. دعا ربه في جنين ثالث، سلمان الصغير، لكنها حين رأته وتسلمته من بين يدي أم محمود الداية شهقت بارتياع وهي تصرخ : «حلمي.. حلمي. حلمي يا فرج!»

رق قلبه ولم يستطع أن يناقشها، أصبح فرج الهارب أبًا لثلاثة أبناء، ناجي ونجلاء وحلمي.

استقرت الأسرة وازدهرت تجارة الأب وابتسمت لهم الحياة، لكنها خدّاعة، ابتسمت لهم وهي تشير لكلاب سلمان على مكانهم، بلغوا الأب فورًا.

وفي يوم خريفي دافئ استيقظت الأسرة على صوت صراع، كان فرج بطلًا، رجلًا تهتز له الجبال، أسقط منهم صريعًا ومصابين، لكن الكثرة تغلب الشجاعة. وأي كثرة مثل كثر الخونة والكلاب، سقط بين أيديهم مغشيًا عليه، حملوه للسيارة في سُرعة تاركين جُثة زميلهم وهربوا سريعًا.

طمأنها أهل البلدة أنهم لن يتركوه، سيعودون به من بين براثن هؤلاء الخونة لكنها تمتمت بانكسار: «لن يعد»

## انقلبت عشرة مرات

وقف فرج أمام أبيه، كان طاعنًا في السن لكن الغضب يشتعل بداخله ليحركه كابن عشرين. تبادلا النظرات في تحدٍ واضح، كان فرج يشعر بالغضب من الطريقة التي أحضروه بها إلى هنا، لكنه لم يجرؤ على النطق أمام والده. ما زال يخشاه ويحبه. لكن الأب كان يستعر بالغضب لأنه أمام ولده العاق، الذي سرقه وكسر كلمته ليهرب مع الفاجرة مدمنة الزنا؛ بل وزاد الأمر سوءً أنه تزوجها وأنجب منها. رغم كُل الكراهية التي تسيطر علي قلب فرج, لكن قلبه لان حين رأي أمه تدخل تتحسس طريقها وشابة مليحة تمسك بيدها تقودها. حين شعرت أنها في حضرة ولدها تركت يد الفتاة وانتصبت لتنفض أثر السنين والأيام عن كاهلها، كانت تنظر في اتجاه آخر بغضب، مالت عليها المليحة وهمست لها ببضعة كلمات فنظرت نحوه، لكنه شعر بشيء خاطئ. تحرك ببطء نحوها، رفع آخر الخفراء عصاه عاليًا لكنه إشارة من سلمان جعلته يتراجع. اقترب من أمه ولاحظ أنها كفيفة، تساءل بدهشة عما قادها لهذا المصير، وكأن والده يقرأ أفكاره قال له بغلُظة: «بكت عليك من الدموع أنهارا، وفي النهاية فقدت بصرها»





شعر بغصة في قلبه، أمسك يد والدته فابتعدت كمن لدغتها حية وهي تنظر له باشمئزاز، رغم علمه أنها كفيفة إلا أنه شعر أنها تراه، شعر أن نظرتها تخترق روحه، تعتصر قلبه داخل صدره، تراجع للخلف مصدوماً، نظرت له وهي تقول بألم: «رغم علمي أنك مسحور، إلا أن قلبي غاضب عليك»

حاول أن يقترب منها مرة أخرى لكن الخفير منعه، سحبتها المليحة من يدها بعيداً، وقاده الخفراء لغرفة مُظلمة. ظل فيها لساعات طويلة دون حديث، دون طعام أو شراب، بعد ساعات طويلة عذبته دقائقها ببطء لم يشهده من قبل، فُتِح الباب. وقف والده أمامه بغضب ومن خلفه أربعة خفراء ورجل يرتدي ملابس واسعة. لحيته طويلة قذره وشعره أشعث يخرج من تحت الشال الذي يلفه حول رأسه بعشوائية مُذهِلة. يبدو الكذب في عينيه جليًا يمتزج مع الخُبث بانسجام، أشار له والده وهو يقول للرجل: «هذا هو المسحور يا شيخ مرزوق»

دخل الشيخ وهو يدور حول فرج كضبع يختبر ضحيته. يبحث عن نقطة ضعفه ليخترقها، نظر له فرج بقوة، كان في عينيه شيئًا قويًا هابه الشيخ لكنه تظاهر بالقوة، نظر لسلمان هروبًا من نظرة فرج وهو يقول: «يبدو أنه شرب السحر أو أكله، سأحتاج أن أنفرد به. هذا النوع من السحر قوي





وأخاف أن يصيب شخصًا آخر، كذلك سأحتاج للإذن كي أفعل ما أريد مهما كَلَّف الأمر»

كان فرج يعرف أنه كاذب، فهذا النوع من السحر لا يحتاج لأي شيء سوى تلاوة بعض آيات القرآن الكريم وسيتقيأ المسحور السحر الذي ابتلعه، ولن يحتاج لأي شخص آخر، كذلك لا حاجة لخروج الموجودين، هو يفك سحر ولا يخرج جان.

ولأن سلمان قروي ساذج رغم نفوذه وأمواله، أطاع الأمر بدون تفكير صرف الخفراء لكنه صمم على التواجد، خرجوا جميعًا من الغُرفة. أخرج الشيخ حبلًا من كيس يحمله على ظهره، بدأ في ربط فرج الذي لم يقاومه وهو ينظر له بسُخرية: «لماذا ربطتني؟ هل تخاف؟»

تمتم الشيخ ببضع كلمات لم يفهمها فرج الذي سأله وهو يبتسم: «أغنية عبد الحليم الجديدة؟»

نظر الشيخ لسلمان وهو يقول: «يسخر من قرآن اللّه، هذا جن كافر..»

تساءل فرج بسُخرية مرة أخرى: «هل أنا مسحور أم ممسوس؟»





أشار للشيخ برأسه وهو يقول: «اقترب.. اقترب، أريد أن أخبرك سرًا»

نظر له الشيخ بقلق، تساءل فرج بمرح: «هل تخافني؟ هيا اقترب، أنا مربوط وأنت حر، مم تخاف يا شيخي العزيز!»

نظر الشيخ لسلمان بقلق. خشي أن يفقد ثقة سلمان، اقترب من فرج، الذي أشار له أن يقترب أكثر، همس له في أذنه: «أعلم أنك كاذب أيها المأفون، أعلم أنك دجال، وأعلم أنك تخشاني..»

أنهى جُملته وهو يعض أذن الشيخ بقوة. صرخ الشيخ وهو يحاول التراجع للخلف بقوة لكن فرج أحكم أسنانه حول تلك الأذن. شعر الشيخ بالألم فتراجع للخلف بقوة، تفجرت الدماء من أذنه، كاد ينتزعها فرج من مكانها لولا أن الشيخ نجح في التراجع للخلف وهو يضع يده فوق أذنه. يحاول منع الدماء، أخرج قطعة قماش قذرة من كيسه وهو يكتم بها الدماء قبل أن يقول لسلمان بألم ممزوج بالغضب: «هذا الجن سيحتاج عقابًا، أستسمحك عذرًا، أحتاج للانفراد به»

رفض سلمان تمامًا. أخرج الشيخ من حقيبته عصًا ضخمة، ضرب بها ركبة فرج من الخلف ليسقطه

أرضًا، سقط وهو يتألم، ضرب ظهره بقوة وهو يصرخ: «اخرج أيها الجن الملعون، آمرك بالخروج»

انهالت الضربات على جسد فرج. لم يكُن يتوقع هذا العُنف، ولكن الغضب والألم خدرا عقل الشيخ تمامًا، إلى أن أتت ضربة لتنهي كُل هذا الألم وكُل هذه الفوضى، تفجرت الدماء من رأس فرج الذي اتسعت عيناه بذعر وهو يشعر بالظلام يُسيطر على كُل شيء، آخر شيء سمع قبل أن تصعد روحه لبارئها هو الشيخ يسأله ساخرًا: «وهل أفادتك حماقتك في شيء؟»

خرج سلمان من الغرفة وخلفه الشيخ يداوي جراحه، كانت الأم بانتظارهما بالخارج، قال لها سلمان: «قتله الجن حين رفض الخروج»

زغردت الأم رغم الدموع التي ملأت عينيها والألم الذي ملأ قلبها..

انقلبت اثني عشر مرة

كبر الأطفال يتامى دون أب. رغم أنه ترك لهم صرحًا تجاريًا ضخمًا يتمثل في سلسلة محلات ضخمة للعطارة بإحدى مُدن الصعيد. أصبح ناجي كبيرًا بما يكفي ليدير محلات والده الراحل وساعدته نجلاء. كانا يذهبان للمدرسة ويخرجان منها للمحلات؛





يعملون ويستذكرون دروسهم ويتفقوا على صفقات بيع وشراء مع التُجار. لكن حلمي كان فتى والدته المُدلل أو (ابن أمه) كما كانوا يطلقون عليه، لم يعمل مثل أشقائه بل كان يخرج من مدرسته مُتجهًا للمنزل. تضع له أمه طعام الغداء ساخنًا طازجًا ليأكل حتى يشبع، ومن ثم ينام، ترتدي أمه ملابسها وتذهب بالطعام للمحل حيث ينتظر المسكينان جائعين منذ خروجهما من المدرسة. يأتيهما الطعام باردًا بلا طعم، يعملان حتى الليل، يذهبان للبيت مقتولان من التعب، لكن عليهما أن يناما لأن هُناك يومًا آخرًا من الشقاء سيبدأ غدًا.

ويومًا بعد يوم تغرس الغيرة جذورها داخل صدور ناجي ونجلاء. وتتكاثر الأسئلة حتى يعجز الإثنين عن إجابتها، لماذا لنا الشقاء والعمل؟ ولماذا له الدلال والراحة؟ ما الذي فعلناه خاطئًا لنعاقب بالشقاء؟ وما الذي فعله صحيحًا ليكافئ بالرخاء؟

كثرت الأسئلة وانعدمت الإجابات، زادت الغيرة وقلّ الحُب.

بكت الأم كثيرًا فأصابها ما أصاب حماتها، فقدت نظرها حزنًا على زوجها الراحل، كانت تعرف أنه لن يعود. هكذا أخبرها قلبها، الذي يدُق بحُب فرج ويمتلئ بعشقه. أضحت طريحة الفراش، شعر ناجي ونجلاء بضعفها وقلة حيلتها. تبدلا للأسوأ. أصبحوا





مسوخًا لا يعرفون للرحمة طريقًا، تجاهلوا أمهم وتركوها. حافظ حلمي على علاقته الجيدة بأمه المسكينة، كان يخرج من المدرسة ليركع تحت قدميها ويخدمها، بينما انهمك الآخران في العمل وجمع المال، وزاد ربحهما وزادت تجارتهما، وزاد إهمالهما لها.

في النهاية قالها ناجي لهما صراحةً: «المال مالنا، نحن من صنعناه»

وأضافت نجلاء: «والتجارة تجارتنا، نحن من رعاها»

كانوا يلقون لهم بالفتات، بينما تزدهر التجارة ويزدادون ثراءًا. تزوج ناجي في شقة تشبه القصور، وتزوجت نجلاء أحد أثرياء البلدة. بينما عاش حلمي وأمه في البيت القديم المُهدَم. بملابس قديمة ممزقة وأغطية ملأتها الحشرات..

التحق حلمي بكلية الهندسة ورفض الإقامة بعيدًا كي يتمكن من رعاية أمه. وأنهى دراسته بتفوق، طلبه أحد أشهر المُهندسين بعد أن سمِع عن مهاراته وخُلقه وطلب منه أن يعمل على إدارة مشروع ضخم في منطقة الواحات. فرصة ضخمة لشاب حديث التخرج، بمرتب لا بأس به. رفض في البداية بسبب مرض أمه، لكنها نصحته أن يسافر وسترعاها أم خليل جارتهم العجوز.

تردد كثيراً لكنه في النهاية وافق وسافر..

انقلبت ثلاثة عشر مرة

استقرت على ظهرها وهي مُهشمة، لولا حزام الأمان لكان ميتًا منذ حين. شعر بالألم في كُل جسده. السيارة مقلوبة على ظهرها كالحشرة. وجد نفسه فجأة مُعلّق من الوضع مقلوبًا، حاول أن يفك زر حزام الأمان لكنه لم يعمل، ضغطه مراراً وتكراراً دون جدوى.

شعر بالصداع يغزو رأسه إثر الدماء التي ملأت رأسه. أغلق عينيه قليلًا، شعر بالراحة، لو أغلق عينيه طويلًا سيشعر بالراحة، لكنه نفض تلك الفكرة عن رأسه، فتح عينيه بألم وهو يحاول أن يهز رأسه.

لكنه رآهما.

تجمدت الدماء في عروقه، شعر بالشعر الموجود على مؤخرة عنقه ينتصب. شعر أن هناك شيئا خاطئا. رغم الظلام ورغم المطر، يمشيان بثقة من مَلَك الأرض. لا يترددان لحظة كأنهم يريا وسط العاصفة بكُل وضوح..

أخبره قلبه أن هناك شيئا، لكنه لم يعرف ماهيته.





حاول أن يفك حزام الأمان بفزع. ترتعش يده وهو يبحث عن الزر، اقتربا منه، ومض البرق قويًا فأنار المكان، رآهما بوضوح..

رجلين مُخيفين يرتديان رداءً من الخيش. كجلباب قصير لكنه مصنوع من الخيش الذي ولدهشته لم يبلله المطر. على وجوههما أقنعة مصنوعة من الخيش أيضًا لكنها تكشف عن أعينهما وفميهما.

لَمَح ابتسامة ساخرة على وجه أحدهما وهُمّا يقتربان منه. مد أحدهما يده وهو يضغط زر الحزام الذي استجاب له فورًا دون نقاش. سقط حلمي وهو يتألم، جذبه الآخر من قدمه وهو يمشي بعيدًا، نحو غابة من الأشجار تقع علي جانب الطريق..

حاول المقاومة لكنه كان أضعف من أن يستمر..

أغلق عينيه وهو يشعر بالراحة تتسلل إلى أوصاله والظلام يسيطر على كُل الموجودات من حوله.

راحة لطالما افتقدها.





# (١)

## (ضيف ثقيل)

فتح عينيه ببطء.. كان في كوخ خشبي، طرازه قديم وأثاثه قليل، أغلق عينيه مرة أخرى كي يتجنب الألم الذي شعر به حين زارت الرؤية عينيه. يحاول، تذكر المصير الذي آل به إلى هذا المكان. يتذكر أنه كان يقود سيارته ويمشي وسط عاصفة هوجاء، ضغط على جانب رأسه بألم وهو يحاول تدليكها، الألم يغتصب تركيزه. رأى رجلين يرتديان الخيش ويقفان وسط العاصفة بثبات. شعر بالألم يزداد، يحاول فتح عينيه لكن الألم قوي، يحاول مقاومته لكنه أضعف من أن يستطع. الوهن يتملك منه والضعف ينخر عظامه، ترك جسده يستلقي على الفراش القاسي، نام على ظهره وهو يدلك رأسه. الألم أقوى منه، تنقلب به السيارة بعُنف، يقولون أن الذي يقترب من الموت يرى شريط حياته بالكامل يمرّ أمام عينيه.. لكن هل اقترب من الموت حقًا؟

تذكر الرجلين واقترابهما من سيارته، اقشعر بدنه. حزام الأمان لا يفتح، لكنه يستجب لهم فورًا ودون نقاش. بدأ يشعُر بالهلع، ترى هل أسروه؟





لكنه حر طليق، إذن حاولوا أسره لكن هناك من أنقذه؟!

لكن هذا افتراض ضعيف، سمع صوت الباب يُفتَح برفق. حاول أن يفتح عينيه لكن الضوء هاجمهما فانغلقا مرة أخرى بألم. ارتجف جسده بقوة، لكنه سُرعان ما هدأ حين بدأ يشم رائحة عطرة. هدأ قلبه قليلًا، الرائحة جميلة، والجمال نقي لا يعكره شر. ترك جسده يرتاح قليلًا وهو يستمر في تدليك رأسه. سمع صوت تنفس هادئ يقترب منه، شعر براحة غريبة تجتاح جسده. اطمأن قلبه قليلًا، سمع صوت شيء صلب يتحرك. لم يحاول فتح عينيه هذه المرة.

فجأة سمع صوتها وهي تقول: «هل أزعجتك؟»

توقف قلبه عن النبض للحظات. جُن جنون عقله وهو يبحث عن طريقة ليوقف بيها الزمن في تلك اللحظة. راحة غريبة اجتاحت جسده الذي هدأ بينما بدأ قلبه يرتجف بقوة. لكنه كان سعيداً، صوتها دافئ وحنون، حاول فتح عينيه ليراها لكنه لم يستطع. شعر بثقل جسدها وهي تجلس على حافة الفراش، تحرك مُبتعداً قليلًا خوفًا من أن يزعجها بجسده أو برائحته، شعر أنه في حاجة لسماع صوتها مرة أخرى، سألها: «من أنتِ؟»





شعر بها تمسك يده برفق وتساعده على النهوض، اعتدل في فراشه، شعر بشيء مليء بالقش يستقر خلف ظهره. اعتدل وهو يعود للخلف، وضع يده أمام عينيه محاولًا منع الضوء عن عينيه وهو ينظر نحوها، كان الضوء أقوى من عينيه، لكن قلبه كان أقوى من الضوء، رآها...

مليحة، حسناء الملامح، ذات وجه مُستدير وشعر أسود ناعم للغاية، بشرة بيضاء كالحليب يشوبها بعض الحمرة التي تُزيد جمالها أضعافًا، عينيان عسليتان اللون واسعتان، أنف صغير يقف حائرًا بين وجنتين تنبضان حُسنًا..

نسى ألمه وتناسى دنياه وهو يُحدِق بحسنها كالممسوس. سحره جمالها ونادته جنية الحُسن، مالت تُمسِك بيدها إناءً فخاريًا غير متساو وتُمسك بورقة شجر سميكة وتحاول أن تضع مسحوقًا أخضر اللون بفمه. فتحه كالمسحور وهو يتناول منها المسحوق دون أن يعرف كنهه أو ماهيته.

عيناها، يا اللّه... عيناها ساحرتان، بهما من البهاء ما يفوق احتمال البشر، سبحانك يا اللّه يا من خلقت هذا الجمال، شفتاها...

اللعنة، بصق المسحوق الأخضر جانبًا. مرارة طعمه انتزعته من أحلام يقظته. كانت تضحك وكأنها





تسخر منه، ابتسم وهو يعتذر لها قبل أن يقول: «من أنتِ؟ وأين أنا؟ وما هذا الشيء المُر؟»

ابتسمت برقة وهي تقول: «أنا حسناء، أرعاك حتى تستعيد قوتك وصحتك، أين أنت هذا سؤال سيجيبك عليه الشيخ محمود، هذا الشيء المُر هو مسحوق من الأعشاب توصل إليه السيد حفني الطبيب كي يقلل الألم قدر الإمكان»

سألتها بغضب: «ومن يكون السيد حفني هذا؟»

ابتسمت بسُخرية ساحرة للمرة الثانية وهي تقول: «أنت لم تسل على الشيخ محمود، هل تعرفه؟»

تنبه لصحة سؤالها ولحماقته، ابتسم بارتباك وهو يقول: «بالطبع لا، لكن اسم حفني ليس مُنتشِر لذلك...»

صمت وقد انتبه لأنه يحاول تبرير حماقته بشكل يزيده حمقًا. ابتسمت بمرح وهي ترى ارتباكه وقلة تركيزه، وقالت بهدوء: «عليك أن تأكُل هذا المسحوق قبل مجيء رجال الشيخ لأخذك، تحمل مرارته من فضلك»

شعر بها تعامله كالطفل الصغير فابتسم وهو يفتح فمه كي يتناول المسحوق، ملأت ورقة الشجر





وهي تعطيها له، تناول المسحوق، حلى مرارته بحُسن عينيها، تناول المسحوق بأكمله. ولدهشته شعر بتحسن ملحوظ، خرجت الفتاة، تأمل مشيتها المليئة بدلال لم ير مثله من قبل. رغم أنها ترتدي جوالًا خيش مثل رجلي العاصفة..

أغلقت الباب خلفها وتركته يتأمل الكوخ الذي ينام به. كوخ خشبي فارغ من أي شيء إلا من فراش خشبي مُتهالك يقبع أرضًا في أحد الأركان. أشعة الشمس تتسلل من بين ألواح الخشب لتنير الغرفة. نظر لنفسه، جسده ملئ بالكدمات، يرتدي جوالًا خيش بدوره. بحث عن ملابسه لكنه لم يجدها، الغرفة خالية تمامًا. تساءل بدهشة عن سبب فراغ تلك الغرفة، أين ذهبت ملابسه؟ وأين هو؟ وما هذا المكان الغريب؟

لكنه كان يعرف جيداً أن كُل تلك الإجابات بحوزة شخص واحد فقط، وهو الشيخ محمود..

أم كان السيد حفني؟

الشيخ حفني؟

حسنًا سيكون عليه الانتظار..





لكن يبدو أن انتظاره لن يدم طويلًا، رأي من بين الألواح الخشبية رجلين، يقتربان.. تأمل ملامحهما، من الصعب أن يعرف إذا كانا رجلا العاصفة أم لا، لأنهما الآن دون أية أقنعة. طرق أحدهم الباب بأدب، حسنًا... نفى هذا عنهم كونهم رجلا العاصفة، هؤلاء أكثر أدبًا واحتراما.

فتح الآخر الباب بعد لحظات وهو يشير له أن يتبعهم، لم ينطق بكلمة. وقف حلمي ببطء، استند على جدار الكوخ للحظات. يحاول طرد الدوار الذي انقشع سريعًا، لكنهما لم ينتظراه. تحركا وتحرك خلفهما مترنحًا بعض الشيء.

* * *

كانا يسبقانه بعدة خطوات، يتحركان على الأرض الوعرة بأقدامهما الحافية كأنهم يمشون على بساط من حرير، بينما هو يمشي خلفهما مُتأخرًا وهو ينتقي مكان خطواته بحرص؛ ورغم هذا تؤلمه قدماه بشدة. حين يتعوّد المرء على الرفاهية ينسى أبسط قواعد الحياة الطبيعية.

سبقاه على تلٍ عالٍ، صعداه سريعًا ودون لحظة تردد، بينما وقف أسفله حائرًا مُترددًا. شعر كأنه بطل لعبة إليكترونية، اختفيا عن ناظره، أسرع الخُطى وهو يتسلق التل ببطء وخوف. كاد أن





يسقطُ أرضًا وتدكُ عنقه لكنه تماسك وتشبث بشجرة تقف وحيدة على جانب التل.

في النهاية وجد نفسه فوق التل. نفض الغبار عن ملابسه، انهمك في تفحص قدمه متأملًا الكدمات والجروح التي أصابتها. سمع نحنحة عالية عن يمينه، نظر سريعًا وهو يرتجف خوفًا فوجد ما يشبه المسرح. مسرح حجري عالٍ يقف فوقه ما يقارب خمسة رجال، طفلان وامرأة. بينما تحت المسرح يقف مئات من البشر الذين ينظرون له بدهشة. طالعهم بخوف؛ فلم يتوقع أن يرى هذا العدد من الناس في هذا الوقت، تأملهم بهلع وحيرة.

ناداه أحد الرجال الواقفين فوق المسرح قائلًا بصوتٍ جهوري: «تعال يا فتى»

نظر له بخوف وحيرة، يفكر فيما يجب أن يفعل. هل يهرب من هنا سريعًا؟ لكنهم كُثر ولن يطول هروبه كثيرًا، هل يطيع أمر الرجل ويقترب منه؟ لكنهم كُثر ومن المُمكن أن يغدروا به.

بحث بعينيه عنها، وجدها تقف بين رجلين، أحدهما كهل تبدو عليه علامات الطيبة والآخر ضخم الجُثة غليظ الملامح. ابتسمت له وهي تشير





له أن يتقدم، اطمأن قلبه وحسم قراره، فهل بعد قرارك قرار يا جميلة الجميلات!

مشى وسط الحشد الذي ابتعدوا ليفسحوا له الطريق. شعر كأنه سيدنا موسى الذي شق له اللّه البحر ليعبر بأمان، سمع همهمة غير مفهومة من بينهم.. تجاهلهم وهو يقترب من المسرح، اعتلى المسرح ووقف حائرًا، تبسم له الرجل الذي حدثه من قبل قائلًا: «تعال يا حلمي.. تعال يا ولدي»

اقترب منه، تأبط الرجل ذراعه وهو يبتسم قائلًا: «أقدم لكم جميعًا، حلمي الوافد الجديد لطائفتنا»

توقع حلمي استقبالا لطيفًا، لكن العكس قد حدث، ظهرت علامات الغضب على الجميع. رأى الشر والحقد يملأ عيونهم جميعًا وهم يصرخون عليه بكلمات لم يتبينها. شعر بالصدمة والخوف لكن الرجل طمأنه بابتسامة لطيفة. للمرة الأولى يلاحظ الأمر، كُلهم حُفاة، يرتدون أجولة خيشية مُتماثلة تمامًا حتى الرجل الذي يبدو زعيمهم مثلهم تمامًا، لا فارق بينه وبينهم..

رفع الرجل يده عاليًا، يده كانت مُنبسطة، لكن الجميع حافظوا على ثورتهم وغضبهم. أغلق قبضته فجأة فصمت الجميع في مشهد مُبهِر،





كأنه يتحكّم فيهم جميعًا، صمتوا تمامًا وهُم يطالعونه بفضول.

قال الزعيم بصوتٍ هادئ: «حسنًا، نرحب بضيفنا أولًا ومن ثَم نحل مُشكلتنا»

لاحظ حلمي الآن أن الموجودين فوق المسرح منقسمان لقسمين، رجل وامرأة يحملون رضيعًا يقفون ناحية اليمين، الرجل تظهر عليه علامات الغضب بينما المرأة تكاد تنهار حُزنًا وخوفًا وهي تحتضن رضيعها وتتشبث به كأنه يملك حياتها. بينما، بالجهة الأخرى يقف كهلًا عجوزًا يرتجف غضبًا وهو ينظر لحلمي بغضب واشمئزاز؛ وهو يحتضن رضيعًا آخر نائمًا في سلام.

يبدو أن هناك مشكلة بين الطرفين، حسنًا... هذا ليس من شأنه، كُلنا لدينا مشاكل ولا حياة تخلو من المشاكل أبدًا، فليهتم الآن بمشاكله وعشرات الأسئلة التي تدور في رأسه المُتخّم بالتساؤلات، ويتركهم ليهتموا بمشاكلهم التافهة التي لن تتعدى صراعًا على كومة من القش أو بضعة قطرات حليب لأحد هؤلاء الرضع.

لكنه كان مُخطئًا، مَخطئًا للغاية...



صرخ أحد الحاضرين غاضبًا: «لن نتحرك قبل أن نجد حلًا لمُعضلتنا»

نظر حلمي له ليجده غليظ الملامح الذي يقف بجوار الحسناء التي رآها من قبل، صرخ به الكهل بحزم: «عمّار، لن أحذرك مرة أخرى من مغبة الحديث دون إذن، هل فهمت؟»

ظهرت علامات الغضب على عمّار وهو يقول بتحدٍ: «لن أصمت يا شيخ محمود، مثلما ورطنا هذا الغريب في الأمر.. عليه أن يجد حلًا للمعضلة التي تسبب بها»

ارتفعت أصوات الحضور تهتف بالموافقة على كلمات عمّار. وجد الشيخ نفسه مُضطرًا للطاعة، ولم يعرف حلمي أنه الآن في موقف لا يُحسَد عليه.

عليه أن يجد حلًا في مُشكلة لا يعرف عنها شيئًا تسبب فيها بطريقة لا يفقه عنها شيئًا.

نظر له الشيخ وهو يقول بنبرة تحمل أسفًا: «آسف يا ولدي، لكن عليك أن تحسم هذا الأمر أولًا قبل أن تفهم كُل شيء»

نظر له حلمي بدهشة سُرعان ما امتزجت بغضب وهو يقول: «أطعت العديد من الأمور منذ استعدت





وعيي، ولن أطع أمرًا واحدًا قبل أن أفهم ما يحدث»

ابتسم الشيخ بمرارة وهو يقول: «استمع إليّ يا ولدي، استمع لكهل رأى من الدنيا ما رأى، لن نتحمل غضبة هؤلاء، أحيانًا يكون عليك الانحناء ريثما تمر العاصفة كيلا تقتلعك من جذورك»

وقف يفكِر قليلًا في كلمات الشيخ، لكن فجأة شعر بشيء صلب يصطدم بمؤخرة رأسه قبل أن يسقط أرضًا بجوار قدمه. نظر له بدهشة، كانت حبة بطاطس، نظر خلفه ليرى الجمع الغاضب بينما عمّار ينظر له بتحدٍ وهو يمسك بحبة بطاطس أخرى مُهددًا إياه. ابتسم بسُخرية، ذكره الأمر بالمطربين حين يغضبون مُستمعيهم، لكن هؤلاء يقذفونهم بالطماطم وعمّار يهدده بالبطاطس.

رفع الشيخ يده عاليًا وهو يقبض كفه صارخًا بحزم: «ستُعاقب يا عمار، لم تحترم الطائفة ولا قوانينها، وهذا التحدي لن يمر بسلام»

ابتسم عمار بسُخرية حادة وهو يقول بغلْظة وبصوتٍ خافت: «حسنًا أيها المأفون، لنرى من منا سيصمد أمام الآخر»

همس الشيخ بصوتٍ عالٍ: «العاصفة قوية يا بني، انْحَنْ»





صرخ فيهم حلمي بحزم: «حسنًا، أيًا كانت المُشكلة، سوف أقوم بحلها»

صرخ الجمع بسعادة وهُم يرون حلمي يطيعهم في آخر المطاف.

* * *

( ٢ )

(معضلة أخلاقية)

نظر له الشيخ وهو يبدأ حديثه بلا مقدمات: «نحن قرية تعيش بالاكتفاء الذاتي، نأكل مما نزرع ونشرب من نهر صغير يجري بالقرب منا. لا نسمح للغرباء بالاختلاط معنا، ولا نسمح للتكنولوجيا أن تدخل قريتنا، ولهذا سبب مُهم ستعرفه فيما بعد. لكن الشيء الذي يجب أن تعرفه الآن هو أننا نعيش بموارد قليلة، وقليلة للغاية وبالكاد تكفينا، لذلك نحافظ علي تعدادنا ثابت لا يزيد، غير مسموح لنا أن نزيد عن خمسمائة فرد، مهما كلفنا الأمر. ونعم... أعرف السؤال الذي يحتل عقلك، كيف نحافظ على عددنا في حين أن بيننا العديد من المواليد، الأمر سهل يا ولدي، حين يرزقنا اللّه بمولود جديد، يزداد تعدادنا واحد، وكي نحافظ علي التعداد، يجب أن ينقص عددنا واحد. ولأننا أضفنا حياة جديدة، يكون علينا أن نضبط كفة الأمر ونتخلص من حياة قديمة، من الصعب أن نخاطر بزيادة فم يحتاج لطعام وشراب، في الأمر مُخاطرة. هذا بخلاف أن كُل الأسر سترفض التضحية حين يأتي دورها، وسيقولون الكلمة التي لطالما دمرت شعوب وأمم، لم نحن، أو بمعنى آخر(اشمعني).. وقتها يا ولدي لن تستطع أن تناقشهم، لذا كان





لابد وحتمًا أن يكون القانون سيف مُسلّط علي رقبة الكُل. لا يُفرِق بين قريب أو غريب، وحين يسود القانون، ولا يفرق بين شخصٍ وآخر. وقتها لن تجد من يرفع عينيه في عينيك ويُخبرك أنه يعترض أو يستطيع اعتراضك..»

قاطعه حلمي بنفاذ صبر: «ما شأني بكُل ما تحكيه؟»

ابتسم الشيخ بحنو وهو يقول: «صبرا... إن اللّه مع الصابرين، لذا كان قانوننا واضحًا وصريحًا، حين يولد رضيع في القرية، يجب على أكبر سُكّان القرية أن يتقدم للتضحية، يُضحي بنفسه من أجل تعديل الكفة مرة أخرى، وهكذا يظل عدد السُكّان مُستقرًا ونضحى في أمان»

رفع حلمي حاجبيه وهو يتوقع بقية الحديث: «إذن هذا الطفل...»

قالها وهو يشير إلى الطفل الذي تتشبث به أمه مُستكملًا حديثه: «هو أحدث الأطفال المُنضمين لتلك القرية، وهذا الكهل...»

قالها وهو يشير للكهل الذي يحمل الرضيع في الجهة المُقابلة: «هو أكبر الموجودين سنًا ويرفض التضحية بنفسه. حسنًا لو أردت رأيي الشخصي




فإن القانون قانون، ويجب أن يُطبق على الجميع بلا استثناءات»

كان الحشد بالكامل صامت ويراقب الأمر الذي يحدث أمامهم، نظر له الشيخ بلوم وهو يقول: «هل انتهيت من نظريتك؟»

هز رأسه بخجل وهو يستمع للشيخ الذي قال: «كُل ما قُلته صحيح وخاطئ في آنٍ واحد»

سأله بدهشة: «وكيف هذا؟»

ابتسم الشيخ وهو يربت على كتفه مُستكملًا: «هذا الرضيع بالفعل هو أحدث المُنضمين لقريتنا، وهذا الكهل هو أكبر الموجودين سنًا بالفعل، ويرفض التضحية بنفسه، هذا لا شك فيه...»

قال حلمي بانتصار: «إذن لم أكن مخطئ»

قال الشيخ بسُخرية: « أنت مُخطئ للغاية»

سأله حلمي بدهشة: «وكيف هذا؟»

أجابه: «لأن هناك كهل آخر كان يفوق هذا سنًا وقام بالتضحية بنفسه وهو راضٍ تمامًا حين ولد هذا الرضيع»





ظهرت علامات الدهشة على وجه حلمي وهو يرفع حاجبيه للأعلى مُتسائلًا: «طالما ضحى أحدهم بنفسه، لماذا تطلبون من الكهل المسكين أن يُضحي بنفسه مرة أخرى!»

وللمرة الأولى منذ بدأ الشيخ حديثه يثور الحشد وهم يصيحون بكلمات مُتداخلة وجُمل مليئة بالغضب لم يتبينها جيداً، لكن إجابة الشيخ كانت واضحة، كانت كلمة واحدة ولكنها ستطارده أبد الآبدين..

قال الشيخ بقسوة: «بسببك!»

* * *

نظر للشيخ بحيرة وهو يسأله: «بسـ ... بسبب ... بسببي؟»

ابتسم الشيخ بمرارة قائلًا من وسط الصخب: «أجل.. بسببك»

غضب حلمي وهو يقول باحتجاج: «لكنني وصلت منذ قليل، كيف تسببت في أزمة هائلة كهذه؟»

«كان وصولك هو سبب المُشكلة»

«وكيف هذا؟»





صاح به واحد من الحشد بغضب مُستعر: «ألم تفهم بعد أيها الغبي؟»

ثار الحشد وهم يهتفون بصيحة رجل واحد: «يا غبي... يا غبي... يا غبي!»

صرخ بهم الشيخ: «الصمت...»

فأطاعوه دون نقاش صاغرين، نظر الشيخ لعمّار بغضب وهو يقول: «هذا هو تحذيرك الأخير، وأنتَ تعرف جيداً أنني لا أمزح»

لم ينتظر رده، نظر لحلمي بغضب: «وأنت... عليك أن تُهدئ من روعك قليلًا، إذا استمررت في الغضب والتعجب بمثل هذه الطريقة. سيثورون ضدنا ولن أستطيع حمايتك أو حماية نفسي، هل تفهم؟ سيطر على انفعالاتك ولو قليلًا»

نظر حلمي للأرض بخجل وهو يتمتم مُعتذراً: «آسف، ولكن الوضع جديد عليّ ومن الصعب على عقلي تقبله»

حاول الشيخ احتواء الموقف وهو يستكمِّل شرح الأمر: «أجل يا ولدي كُل ما يحدث الآن بسببك وبسبب قدومك إلى هنا.. أخبرتك من قبل، لدينا قانون صارم بشأن الزيادة السُكانية، ولدينا قانون





آخر أكثر صرامةً بشأن استقبال الغُرباء، وأنت بوجودك اخترقت القانونين، لأن القرية زادت واحداً، وهذا الواحد هو شخص غريب»

اتسعت عينا حلمي وقد بدأ يُدرك مدى سوء الأمر وفداحته، قال: «إذن تطلبون من الكهل التضحية بسبب زيادتكم بمقدار فرد واحد، وهذا الشخص هو أنا؟»

هز الشيخ رأسه موافقًا، فرد حلمي صدره وقال بفخر: «لو أن ليس هُناك بُداً من قتل شخص ما، فليكن هذا الشخص أنا، أنا سبب المُشكلة، وسأكون حلها»

قال الشيخ بنفاذ صبر للمرة الثانية: «يا بني، لا تؤخذ الدنيا غلابًا، لقد قُلت لك أنك الغريب الذي سينفتح باب اللعنات بسببه، وكما تقول الأسطورة، من يفتح باب اللعنات، هو الوحيد الذي سيغلقه»

صرخ به حلمي بغضب: «مالي أنا ومال باب لعناتكم، من المُمكِن أن أرحل حالًا وأترككم مع لعناتكم وأبوابكم.. فليحرق العالم من بعدي طالما أنا بأمان.»

صرخ به الشيخ بغضب: «حينها سأقتلك بيدي، ودون تردد، ولن يكون في قلبي مثقال ذرة من





رحمة أو شفقة تجاهك، وحذاري... حذاري من علو صوتك في حضرتي مرة أخري وإلا سأتركك لهم يفعلون بك ما شاءوا»

نظر له حلمي وبداخله مزيج من الأحاسيس والمشاعر المُختلفة. لا يعرف ما التصرف الصحيح الذي يفترض به أن يفعله، تذكّر كلمات الشيخ وأيقن أنها السبيل، عليه أن ينحني قليلًا كي لا تقتلعه العاصفة من جذوره. همهم مُعتذرًا وهو يستمع للشيخ الذي استكمّل حديثه كأن شيئًا لم يكُن: «وكما تسببت في المُشكلة، سيكون عليك إيجاد حل لها، بوجودك زادت القرية واحداً، والآن علينا أن نضحي بأحدهم، المنطق يقول أن علينا أن نضحي بأكبر أعضاء القرية سنًا كالمُعتاد، لكنه يرفض ويطالب أن نضحي بأصغرنا سناً، من مُنطلق أنه لا يزل صغيرًا لم يتعدَ عمره الأيام»

سأل حلمي بهدوء: «والمطلوب مني؟»

«أن تختار، هل نضحي بالكهل العجوز أم بالطفل الرضيع؟»

«الاختيار سهل للغاية، لو كان عليّ الاختيار فسأختار الـ...»





«يا ولدي، كي تختار اختيارًا لا تندم عليه، عليك أن تُلِم بكُل جوانب الموضوع، عليك أن تعرف لماذا يرفض الكهل التضحية بنفسه، وعليك أن تعرف أيضًا لماذا يرفض أهل الرضيع التضحية به، وبعدها سيكون لك حرية الاختيار..»

« حسنًا ... كُلي آذان صاغية»

«عليك أن تعرف لماذا يرفض الكهل التضحية بنفسه أولًا.. ولماذا يطلب أن يتم التضحية بالطفل الرضيع بدلًا منه، هذا الكهل كان لديه ابنة، تزوجت من رجل صالح وأنجبوا هذا الرضيع، في يوم ما خرجت ابنته بصحبة زوجها في رحلة صيد. نحن كما أخبرناك نعيش على الاكتفاء الذاتي، لكن الأمور ساءت للغاية أثناء تلك الرحلة. رأيت الجُثتين حين عادوا، بدا الأمر كما لو أن دبًا من فعل هذا... »

قاطعه حلمي بدهشة: «دب! هنا؟ في مصر...»

ابتسم الشيخ بمرارة وهو يقول: «شعرت بذات دهشتك، لكن قلبي أخبرني أن الأمر مُختلف، هذه الضربات ليس ضربات دب، تلك المخالب ليست كمخالب الدب، بل هي شيء أكبر وأشد طرًا، وهذا دفعني لسؤال أبيها. هذا الكهل العجوز الذي يقف أمامك، في البداية أنكر وتظاهر بالحُزن الدفين لكن في عينيه شيء أخبرني أنه يعلم أمر ما، أن




يظهر عكس ما يُبطن، وبالفعل مارست عليه ضغطاً هائلًا، وفي النهاية انهار واعترف، ابنته وزوجها ملوا حياتنا المملة. تركوا الرضيع مع جده لأنهم يعرفون جيداً أنهم سيخوضون رحلة قاتمة السواد. رحلة ذهاب بلا عودة، يعرفون قواعدنا جيداً ويعرفون مصير الهاربين. لم يهرب من هنا إلا شخص واحد فقط. ولهذا قصة سأقصها عليك فيما بعد، المهم ... حاولوا الهروب وهم يعرفون جيداً عقاب الهاربين، لذا تركوا الطفل مع جده، والآن ... وبعد وفاة والده ووالدته... هذا الرضيع لا يملك من الدنيا سوى جده وإذا ضحينا بجده لن يجد من يربيه ويحنو عليه»

ساد الصمت على الجميع وهم ينظرون للكهل والطفل بنظرات ملأتها الشفقة. في النهاية تحدث حلمي وهو يحاول التغلب على مشاعره: «حسناً... حسناً هذا الجد لديه وجهة نظر، وهي صحيحة تماماً، لكن اسمح لي بالسؤال، لماذا لم تختاروا الكهل الذي يليه بدلًا عنه؟»

«حاولنا يا ولدي، لكنه رفض رفضاً تاماً لأن الدور لم يصيبه، وحجته مقنعة للغاية، ولا يستطيع أحد أن يلومه»

«فاخترتم أن يموت الرضيع بدلًا منه، بما أنه أقرب من وصل للحياة، حسناً هي وجهة نظر، رغم أنها





تخلو من الإنسانية، لكنها الأقرب للواقع، حسنًا لو كان على الاختيار فسأختار... «

«أنت مُتسرِع يا ولدي، اصبر لتعرف لماذا يرفض أهل الرضيع التضحية به ويصرون على مُخالفة قانون القرية الذي ينص على الطاعة.»

«تخيلت يا شيخنا العزيز أنهم يرفضون لأنه ولدهم الوحيد كما أرى، ومن ذا الذي سيوافق على التضحية بفلذة كبده؟»

«حين تعرفنا أكثر يا ولدي ستعرف أن تضحيتك بفلذة كبدك هي تضحية عادية هنا، لكنهم يرفضون لسببٍ آخر مُختلف تمامًا»

«أيًا كانت أسبابهم يا شيخ، فهي لا منطقية، حتى قبل أن أسمعها، بإمكانهم أن ينجبوا غيره، لم تتعلق به قلوبهم بما يكفي، سيكون دومًا بإمكانهم إنجاب غيره...»

«وهذا هو السبب تحديدًا يا ولدي، هذا الثنائي لن يستطيع إنجاب أي أطفال فيما بعد، في الواقع هم يحاولون منذ عشرة سنوات ولم يمن اللّه عليهم سوى هذه المرة، وبسبب نزيفٍ حاد أصاب الأم أثناء الولادة لن يكون بإمكانهم أن يحظوا بأطفال مرة أخرى»





نظر حلمي لهم قائلًا بأسف: «أنا آسف حقًا! لم أكُن أعرف »

قال الشيخ بقوة: «والآن قد عرفت.. عليكَ أن تختر»

فكّر حلمي قليلًا قبل أن يسأل: «وهل سأختار فحسب؟ أم عليّ أن أبرر اختياري؟»

ابتسم الشيخ قائلًا: «بالطبع لا، سيكون عليك التبرير كي يتفهم الجميع سبب اختيارك»

فكّر حلمي قبل أن ينظر ناحية الأسرة الصغيرة وهو يقول: «آسف يا رفاق، لكن أنتم من سيكون عليه التضحية، ففي النهاية سيذهب الرضيع وسيبقى لكُل منكم الآخر، بإمكانكما أن تُكملا حياتكما معًا حتى لو لم يرزقكما اللّه بذرية أخرى ولكن من يعلم... إن اللّه قادر على كُل شيء، في حين أن هذا الرضيع لا يمْلك من الدنيا سوى جده فقط، إن ذهب جده فداءً لتضحيتكُم، فلن يتبقى له أحد، حتى وإن رباه آخرين فلن يكونوا أبدًا مثل جده»

تحرك ثلاثة من الرجال الأشداء نحو الأم، مد أحدهم يديه نحو في حزم، يبدو من وقفته وتصرفاته أنه المسؤول أو أعلاهم رتبة، احتضنت الأم طفلها في خوف وهي تسقط على الأرض وجسدها بأكمله





يرتعش، حاول الأب أن يرجوهم أو أن يتفاهم معهم، لكنهم لم يقبلوا أي نقاش، حاولوا أن يبعدوه من أمامها بالقوة. قاومهم فكانت لكمة قوية من نصيبه، سقط أرضًا وعيناه تتسعان هلعًا وهو يحاول أن يقف ليحمي زوجته وابنه لكنهم منعوه، انتزعوا الطفل من بين يديها انتزاعًا ومشوا به مُتجاهلين صراخها الذي قطّع نياط قلب الحضور بأكمله..

مشوا بالطفل تجاه الشيخ، الذي مد يديه ليحمله برفق وحنو، زحفت الأم حتى وصلت لزوجها الذي ما يزال يجلس أرضًا على ركبتيه يُتابع ما يحدث. أمسكت بملابسه بأيدٍ ترتعش، شحب وجهها وتبدلت ملامحها وهي تنظر للشيخ الذي وضع الرضيع على قطعة من الصخر الصلب، أعطاه الرجل المسؤول قطعة من الحديد الحاد، لف قطعة من الخيش الخشن حول يده وهو يمسك بقطعة الحديد عاليًا.

ارتعد جسد الأم بقوة وقبضة يدها تضعف حول ملابس الأب قبل أن تسقط على الأرض. تأملها الزوج بذهول وهو يمسك بيدها، لكن يدها هربت من بين يديه وسقطت أرضًا، وضع يده على صدرها وعينيه تتسع هلعًا، هزها وحرك جسدها، لكن روحها فاضت إلى بارئها..





نظر للشيخ في رعب في نفس اللحظة التي تناثرت فيها دماء رضيعه عالياً. سقط على ركبتيه وهو لا يفهم، هكذا هي الدنيا، في لحظة تعطيك كُل شيء... وفي أخرى تسلبك كُل شيء.

في لحظة كانت لديه أسرة، زوجة مُحبة ورضيع سيملأ دنياهم سعادة.

وفي لحظة أخرى كانت أسرته قد تفككت، تمت التضحية بصغيره، وماتت زوجته كمداً على صغيرها، من أجل غريب لا يعرفه.

أخرج قطعة من الصخر الصلب من بين ملابسه وهو يعدو نحو حلمي بغضب صارخًا فيه بكلمات شتتها الغضب وفرق الجنون شملها. حاول الجميع الإمساك به لكنه كان كالثور الذي يجري في عروقه الغضب مجرى الدم، في النهاية تكالبوا عليه ومنعوه من الوصول للمنصة.

نظر له الشيخ بغضب وهو يشعر أن تلك الأزمة قد تهدد أمن القرية. ويكفيهم وصول الغريب وفتح باب اللعنات، لا ينقصهم مشاكل أخرى.

صرخ وهو يرفع يده عالياً: «هذا يكفي... أنت منفى»





وكأن هذا كان ينقصه. حمله ثلاثة رجال الذين انتزعوا رضيعه منه وهم يقودونه نحو الغابات الكثيفة، صرخ وشجب وندد، لكن لم يسمعه أحد ولم يقدر ظروفه أحد.

ألقوه وسط الغابة، كان يعرف مصيره إن عاد، سيقتلونه بلا رحمة، وإن حاول الخروج خارج حدود القرية سيُقتل مثلما قُتل من حاولوا قبله.

حُكِم عليه أن يكون منفيًا البقية الباقية من حياته، بين الغابات ووحوشها.

لكن وحوش الغابة أرحم كثيرًا من وحوش بشرية لم تعرف للرحمة معنى..

* * *




( ٣ )

(تاريخ سحيق)

زأرت العاصفة في الخارج بقوة. اندفعت الرياح بقوة داخل البيت. اهتز لهب الشموع الذي ينير به مغلاوي كوخه الخشبي القديم الموجود على حدود القرية؛ القرية التي كَبِر وترعرع بها قبل أن يطرده أهلها منها. قالوا أنه ساحر شرير، قالوا عنه مُهرطقا ماجنا، لكنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء معرفة الحقيقة.

ولماذا نبحث وننقب عن الحقيقة في حين أن بإمكاننا نشر شائعة كريهة وسيصدقها الناس وينشرونها لمُجرد التظاهر بالمثالية؟

اهتزت الشموع مرة أخرى وكاد لهبها ينطفئ فانتزعه الأمر من أفكاره. عاد للورقة الصفراء الموجودة أمامه. لمعت عيناه بغضب وهو ينظر إليها، انعكاس النار في عينيه المُشتعلتين بالغضب أضفى عليه مظهرًا شيطانيًا مُخيفًا.

تأمل الشكل الهندسي المرسوم فيها وهو يبتسم ابتسامة غامضة. أمسك بالورقة وهو يقربها من وجهه ويقرأ العزيمة المكتوبة بها، عزيمة شهيرة موجودة في أحد أشهر كُتب السحر





الموجودة في العالم والذي زادت شُهرته بسبب الشائعات التي يُطلقها عليه الواقعين بقبضة الجهل بخنوع. طَبّق الورقة بغضب وألقاها نحو نار المدفأة البدائية التي يحترق بها الحطب وهو يطلق ضحكة ساخرة.

أي سحر وأي عزائم تلك التي بإمكانها استدعاء مردة من الجان ليكونوا كالخدم. ولماذا أستدعي مارداً من الجان لتسخيره، طالما بإمكاني استدعاء الشيطان ذاته لعقد صفقة معه؟

* * *

كان مغلاوي مُهتماً بالقراءة منذ صغره، وكانت القرية حينئذ قرية عادية تتعامل مع البقية بشكل طبيعي، كان ينتظر سيارة الخُضر والفاكهة التي تأتي لعم نادر صاحب محل الخضروات بشغف. لحظته المُفضلة كانت، حين يرى بكر سائق السيارة وهو يفتح باب السيارة ويهبط منها وابتسامته تُزيّن وجهه.

يجذب الحقيبة القُماشية المُعلقَة على ظهره ويُخرج لمغلاوي الذي كان وقتها يتلمس أولى خطواته المُرتبكة نحو عالم المُراهقة. يعطيه كُتيبين أو ثلاثة. يقرأهم مغلاوي خلال الأسبوع إلى أن يأتي بكر في الأسبوع المُقبل بكُتب جديدة.





وينقده مغلاوي قروشًا قليلة؛ ادخرها من عمله في الحقل المجاور لمنزله.

وظلت العلاقة بينهما على ما يُرام، وصول السيارة... ابتسامة بكر... حقيبته القُماشية... الكُتيبات... القروش... وداع... وعد بلقاء قريب..

لكن دوام الحال من المُحال.

في يوم هَبَط بكر من السيارة ولم تُزيّن ابتسامته وجهه. عرف مغلاوي أن هناك شيئا خاطئا. أخبره بكر بأن ابنه مريض وأنه لم يُسافر كي يُحضِر الكُتب هذا الأسبوع. لاحظ خيبة الأمل التي ظهرت على وجه مغلاوي فطمأنه قائلًا: «صحيح أنني لم أسافر ولم أشتر لكَ كُتب جديدة، لكنني أعرف مدى نهمك للقراءة. أحضرت لكَ كتابًا قديمًا من مكتبة جدي الخاصة.. وجدنا تلك الكُتب وبعض أشياء أخرى غريبة في صندوق مخفي بعناية بإحدى الغرف الموجودة في بيته حين توفاه اللّه، هذا كتاب منهم»

أمسك مغلاوي الكتاب بحرص.. كتاب قديم مصفر الأوراق، ذو غلاف جلدي غريب الرائحة ومكتوب بلغة عربية مُقعرة. شكره بإحباط وهو يتناول الكتاب وينقده قروشه القليلة، رفضها بكر وهو يقول:





«هذا هدية مني، وإذا أردت الصندوق بما فيه فهو ملكٌ لك»

شكره مغلاوي وهو يرحل نحو منزله. ألقى الكتاب في جانب غُرفته بيأس وهو ينام وهو يشعر بمزيج من الغضب والإحباط. حين استيقظ أمسك بالكتاب وهو يقلب ورقاته يتأمل الكتابة الغريبة والرسومات الهندسية المُريبة، بدأ ينتبه ويقرأ الكتاب بتمعُن. حينها اكتشف أنه يمسك بكتاب سحر بين يديه، أحد الكُتب الأصلية، ألقى الكتاب بعُنف وهو يستعيذ باللّه العظيم..

لكن فضوله كان أقوى من أي شيء آخر...

أمسك الكتاب وبدأ يقرأ وكلما غاص بين صفحات الكتاب، صنعت له القراءة مركبًا من فهم، أعجبه الأمر، حاول أن يقاوم شيطانه لكنه كان أقوى منه، كان عليه أن ينتظر بكرًا بفارغ الصبر في الأسبوع المُقبل.

* * *

ورغم غضب العاصفة وزئيرها إلا أنه لم يرد أن يغلق نوافذ كوخه. كان يشحن غضبه من غضب الطبيعة، رذاذ الأمطار يزيد من حماسه للأمر، وبرودة الجو تطمأن قلبه إلى أنه سينجح..





مشى نحو الغرفة الصغيرة المُلحقة بكوخه. دخل إليها ليجد تلك الغزالة الصغيرة الذي ربطها بقوة. حين رأته حاولت التحرُك، كان قلبها الصغير يشعر بخطورته، يبدو أنها كانت تعرف ما هو آت..

أمسكها من قرونها وجرها على الأرض بقوة إلى مُنتصف الكوخ. ألقاها أرضًا وهو يمشي إلى مُنتصف الكوخ تمامًا، أخرج من جيبه سكين حاد، كشف عن ذراعه وهو يجرح يده جرحًا عميقًا. أغلق عينيه وهو يستمتع بألمه. ترك دمائه تسيل في إناء معدني ببطء، حتى وصل لكمية مُرضية، وضع قطعة من القُماش القذر على الجرح، غمس إصبعه في الإناء ورسم على الأرض نجمة خماسية داخل دائرة، الرسم الشيطاني الشهير..

انتهى من مُهمته، ثم أمسك ببضعة وريقات صغيرة وبدأ يردد ما فيها بصوتٍ عالٍ.. زأرت العاصفة بقوة غريبة، هل هي صُدفة؟ صلوات شيطانية يبتهل بها للشيطان، يرجوه أن يحضر له، علا صوته بتلك الصلاة المُخيفة، كلماتها اللاتينية أضفت عليها رهبةً لم يتخيلها.

فتح درجًا صغيرًا في مكتبه وهو يخرِج كتابًا قديمًا ذو غلاف مُهترئ، يعود الكتاب للعصور الوسطى وربما قبلها أيضًا. كتاب يُدعى جريمور وهو كتاب يعود للعهود السُليمانية، كتاب كُتب بلغة





إنجليزية يحتوي على عدة طُرق لاستدعاء الشياطين، أقواهم على الإطلاق هو ديكاراب.

الشيطان الملكي الذي يصوره الكتاب على أنه ملك يمتطي جمل، وتاج ضخم يزين رأسه، وبصُحبته زوج من الشياطين لخدمته ومُرافقته.

يستدعون ديكاراب ليعلمهم الفنون والعلوم، ولكنه أيضًا يعرف العديد من الأمور السرية..

رسم مغلاوي نجمته الخُماسية ومن حولها الدائرة، أحاط الرسم بأكمله بمُثلث ضخم تمس حدوده الدائرة ويلتقي بها في ثلاث نقاط مُحددة بعناية، غمس يده في الدماء وتعرى أمامها وهو يرسم على جسده بعض الرموز التي حفظها عن ظهر قلب؛ وحين انتهى بدأ يرسم نفس تلك الرموز تمامًا داخل المُثلث. لا مجال للخطأ ولا يحتمل الأمر العبث.

كادت الرياح تطفئ لهب الشموع مرة أخرى، كان بإمكانه أن يفعل تلك الطقوس في الصباح، لكن من الأفضل أن يستدعي شياطينه ليلًا.. هكذا تزداد المُتعة.

ذهب إلى ملابسه المُلقاة أرضًا وعبث بأحد جيوبها برفق إلي أن أخرج علبة تحوى نوعًا مُعينًا نادرًا من





البخور، اختاره بعناية ودفع مقابله مبلغًا ضخمًا من المال. أمسك بإحدى الشموع الخمس التي تنير غُرفته، اختارها سوداء اللون ليُرضي غرور ديكاراب ويكسب ثقته.

بدأ بخلع الشموع من مكانها، وضعها بهدوء في أطراف النجمة الخُماسية، واحدةً تلو الأخرى، تلك الشموع تُمثل عناصر الأرض الرئيسية، الهواء... الماء... الأرض... النار... الروح.

ركع على رُكبتيه أمام الرسم وهو يُغلق عينيه ويقول بصوتٍ عالٍ: «سيدي الشيطان، بنعمتك عليّ، باركني.. أدعوك أن تهبني القُدرة على حمل ما أريد في عقلي.. على تنفيذ ما أريد القيام به، بارك لي النتيجة التي لن أصل إليها إلا بمُساعدتك.. أيها الشيطان العظيم، إلهي الوحيد الذي أعيش له وأعبده إلى الأبد.. أتوسل إليك أن تأمر ديكاراب بالظهور أمامي، أن يعطيني الحقيقة والإيمان، مكنني من تحقيق غايتي المنشودة.. ها أنا بكُل احترام وأدب أصلي لك وأدعوك، فهلا تستجيب لي يا إلهي العزيز؟»

* * *

حين هَبَط بكر من سيارة الخُضر في الزيارة التالية وجد مغلاوي ينتظره وعلامات الاهتمام تبدو على





وجهه. لم يتبع أدنى قواعد الذوق في مُعاملته، لم يُصافحه أو يسأله عن آخر الأخبار، لم يطمئن حتى على صحة ابنه رغم أنه يعلَم من الأسبوع المُنصرم. خطف منه حقيبة الكُتب القُماشية بلهفة وهو يفتحها، وجد بها روايتين وكتابا علميا، يُناقش واحدة من النظريات العلمية الشهيرة، ألقاهم أرضًا في عصبية وهو ينظر لبكر في وحشية ويسأله: «أين كُتب جدك؟»

نظر له بكر بدهشة وهو يقول: «لم أحضرها، لقد اشتريت لك هؤلاء الـ....»

قاطعه مغلاوي بغضب وهو يقول: «لا أريد تلك التُراهات، أريد كُتب جدك، أريد أدواته، أريد كُل ما كان في صندوقه»

ابتسم بكر وهو يقول: «حمداً للّه، ابني بخير، شكرًا على سؤالك»

ثار مغلاوي في وجهه وهو يقول: «فلتحترق أنت وابنك.. أو ليحترق العالم بأكمله، لا يهمني الآن سوى الكُتب فحسب...»

صمت للحظة وهو يُمسِك برأسه ويستغفر اللّه ويقول بهدوء: «آسف يا بكر، أنا آسف، فلتذهب الكُتب إلى الجحيم، هل ابنك بخير؟»





ابتسم بكر بسُخرية وهو يقول: «لا شأن لكَ بابني، الجُمعة القادمة سأحضر لك الصندوق بما فيه، لكنها ستكون المرة الأخيرة التي ستراني فيها»

لم يهتم مغلاوي بما قيل أو بما سيُقال، المُهم أن الجُمعة القادمة ستكون كُل الكُتب والأدوات بين يديه، وسيكون له مُطلَق الحُرية فيما يفعل بهم..

* * *

أنهى صلاته الشيطانية وهو يقف عاريًا، الرسوم الدموية تملأ جسده، أمسك بالغزال وجره جرًا إلى مُنتصف الدائرة. ذبحه بلا تردُد. وترك دمائه تنسال لتملأ الدائرة، تحركت الدماء على الأرضية الخشبية بسلاسة غريبة، تجاهلت الشقوق الموجودة بين ألواح الخشب، وكأنها تتحرّك فوق أرض صلبة تمامًا، لكن الأغرب كان توقف الدماء حسن وصلت لحواف الدائرة. تجمعت فوق نفسها وكأن سدًا خفيًا يحول دون خروجها من الحواف، ظلت يراقب الدماء وهي تثور وتغلي داخل الدائرة.

فجأة رأي ما يُشبه آثر قدم داخل الدائرة، وسط الدماء ارتسمت الأقدام لكيان خفي يقف بشموخ، بخار رمادي بدأ يملأ الغُرفة، هل دخل من النافذة؟ هل حملته العاصفة معها؟ أم هو إيذان بحضور سيده ومولاه ديكاراب العظيم؟





كان يعرف جيداً أنه يجب أن يخنع، أن يتذلل، أن يكسي جسده العاري بكُل أصناف وأنواع الاحترام والتبجيل الموجودين في دنيانا.

ورغم أنه بصدد رؤية تجسد شيطان قادم من أعماق الجحيم المُستعر إلا أنه يعرف جيداً أنه يجب أن يتحلى بالصدق والأمانة. يجب أن ينتبه لكلماته وجُمله، يجب ألا يوجه لديكاراب أي جُملة آمرة.. وألا يشعر ديكاراب أنه يستغله أو يستخدمه من أجل الوصول لهدفٍ ما.

بدأ يرى لمحات من ديكاراب العظيم أمامه. وسط دفقات البُخار الرمادي، ظهر وجهه المُخيف، ورغم أنه أشبه بالبشر إلا أن هُناك شيء خاطئ في ملامحه. وكأن شيئًا ما بوجهه لم يوضع في محله الصحيح، وجهه غريب التكوين، يقف في منطقة وسطى بين الذكورة والأنوثة، تراه مُخنث؟ شيطان مُخنث! كاد يضحك لولا أنه تذكّر أهمية وضرورة احترام الشيطان فانحنى تبجيلًا..

سمع صوته الأجش، القادم من أقصى طبقات الجحيم شراً وهو يسأله بغلْظة: «لم استدعيتني أيها البشري الفاني؟»

قال بصوتٍ يرتعد: «سيدي ومولاي، أتوسل إليك أن ترضى عني وتضمني ضمن رعاياك»





سمع الصوت يقول بقسوة: «استدعيتني فقط كي تكون ضمن قائمة رعاياي المُخلصين، لكنك كُنت تستطيع فعل هذا دون حضوري أيها الفاني»

ورغم أن الشيطان لم يُحرك شفتيه إلا أن مغلاوي سمع حديثه بوضوح وهو يتسلل لعقله ويحتل كُل جزء فيه، أجابه مغلاوي بخوفٍ وتردد: «لدي عرض لك يا سيدي ومولاي..»

«تحدث»

«أريد أن أهبك روحي، ستكون ملكًا لك في أي وقت ترغب وتريد، سأكون خادمك المُخلص ومُلبي رغباتك طوال حياتي، وحين تحتاج روحي سأقدمها لك هي ودمائي كقربان لرضاك»

«ماذا تريد؟»

«أريد أن أحكم تلك القرية، أريدك أن تلعنهم ...»

* * *

في الأسبوع القادم وصل بكر. هذه المرة لم يحمل الخُضر أو الفواكه، هذه المرة أتاه يحمل صندوقًا به عشرات الكُتب الغريبة، بعضها مكتوب بالعربية والإنجليزية وهذه كان مغلاوي قادرًا على فهمها.





والبعض الآخر كان مكتوبًا باللاتينية والسنسكريتية وتلك لغات لم يكُن قادرًا على قراءتها.

بعض الآنية المعدنية الموسومة برسوم ارتجف قلبه حين رآها.

شمعدان خُماسي غريب..

عشرات الشموع المُختلفة ألوانها بين الأحمر والأسود.

حبل غريب يُستخدم في الرسم كي يكون الرسم دقيقًا.

سكاكين مُختلفة الحجم والشكل.

وفرخ من جلد غريب الرائحة كريه الشكل، لم يعرف مغلاوي قتها أنه جلد بشري.

حمل كنزه وعينيه تلمعان بشراهة دون أن يُفكِّر حتى في شُكر بكر.. هرب بكنزه إلى منزله البعيد، والدته العجوز الكفيفة نائمة. دخل غرفته وبدأ في تفحُص الكُتب.

لم ينتبه لابتسامة بكر الذي رحل من البلدة وهو يبتسم بسُخرية. لم يرَ بكر بالطبع حين دخل

لغرفته الخاصة؛ التي تُغطي جدرانها وسقفها عشرات الرسوم الشيطانية التي سيتعلمها مغلاوي من الكُتب. لن يسمع حديث بكر مع سيده ديكاراب ويعرف أنه كان مُجرد لعبة يُحركها ديكاراب لغرض لا يعلمه سواه. لن يرى كيف ركع بكر في حضرة ديكاراب وهو يخبره أن أدى دوره تماماً كما أمره سيده. لم يرَ ديكاراب وهو يُخبِر بكر أن دوره انتهى وأن الآوان قد آن ليملُك روحه. وقطعاً لن يرى بكر وهو ينحر نفسه بلا أدنى تردد ويخر صريعاً تحت قدمي ديكاراب الذي انتشى وارتجف للحظات.. وطبعاً لن يلاحظ أن حجم ديكاراب قد زاد قليلًا بعد أن أسر روح بكر النجسة.

لم يكُن مغلاوي سوى ضحية اختارها ديكاراب بعناية شديدة..

* * *

نظر ديكاراب لمغلاوي العاري الراكع أمامه في تبجيل لم يره من قبل وقال بصوت الأجش دون ن يُحرِّك شفتيه: «سأفتح عليهم باب اللعنات، باباً من لعنات يخشاها كُل قلب. باب من لعنات سيجعلهم راكعين أمامي كالكلاب، سيجعلني أتحكم فيهم وفي أرواحهم. باباً من لعنات لم يحلموا بها، ولا حتى في أشنع كوابيسهم شراً»





ابتسم مغلاوي بشر وهو يقول: «سأكن خادمًا مُخلصًا، عبدًا مُطيعًا يا سيدي ومولاي، وسأهبك روحي وقتما تشاء، كقربان عن إخلاصي ودليل على عبادتي لك»

ابتسم ديكاراب بسُخرية، وحده يعرف أنه من يحرِك خيوط اللعبة. وأن مغلاوي ما هو إلا ترس استخدمه لفرق قواه وسيطرته على تلك المنطقة من الأرض. بدأ البخار الرمادي ينقشع ويختفي ديكاراب، لكنه أبى أن يرحل دون أن يترُك علامة تُذكّر مغلاوي بعهدٍ قطعه على نفسه.

ترك له علامته المُميزة.

دائرة وفي وسطها علامة(X) وفي الجانب الأيمن منها علامة (+)

وشمه بوشم خدمته.

ديكاراب... الشيطان العظيم..





( ٤ )

(تفسير غريب)

أنهى الشيخ كلماته وهو ينظر لحلمي الذي تبدلت علامات وجهه عدة مرات أثناء سماعه للقصة، تأرجحت أحاسيسه بين الخوف، الحيرة وعدم التصديق.. صمت الشيخ قليلًا مُفضلًا ترك الوقت الكافي لحلمي. سيسأل حينما يكون مُستعداً، أغلق حلمي عينيه وهو يهز رأسه، كأنه يزن الحديث أو يحاول منطقته، فتح عينيه فجأة وهو يقول للشيخ: «القصة في حد ذاتها مُقنعة ومُخيفة، لكن بها العديد من الثغرات»

ابتسم الشيخ وهو يقول له: «كُل سؤال ستسأله ستجد له إجابة منطقية تُرضي فضولك، عليك فقط أن تُجهِز نفسك لما ستسمع»

«في البداية... السؤال الأهم، لماذا تم نفي مغلاوي؟»

* * *

حين أعطاه بكر الكُتب قرر مغلاوي أن ينعزل عن البشر. أن يتفرغ تمامًا لدراسة وقراءة كُل هذه الكُتب. عليه أن يتحولّ لإسفنجة كبيرة، بإمكانها أن





تتشرب وتمتَص كُل هذا الكم من المعرفة. لم يعرف أن ضحية مسكينة، وأن ديكاراب يلعب به كعروسة الماريونت، أعماه غروره وثقته بنفسه. نسي البشر والقرية، لم يرى سوى الرموز والرسوم الشيطانية، نسى صلاته وعبادته، لم يعُد يرى سوى الصلوات اللاتينية التي تستدعي الشياطين، نسي الاستحمام والنظافة الشخصية. كاد يتحوّل لمسخ كريه الشكل والرائحة. طال شعره وتشابكت خيوط لحيته، ملأت القذارة تحت أظافره. كان يبول في سرواله ويتبرز في أحد أركان الغُرفة، يفعل كُل شيء من أجل إرضاء الشياطين.

لكنه تناسى أنه يعيش في قرية ريفية صغيرة، وأن تلك القُرى يعرف أهلها كُل شيء عن بعضهم البعض، وحين بدأت الرائحة الكريهة تنبعث من بيته، تزامنًا مع عدم رؤية العديدين له، اعتقدوا أنه مات وأن جُثته المُتحللة هي سبب تلك الرائحة..

بلغوا عُمدة القرية بقلقهم ومخاوفهم، قرر أن يُرسِل الزِكي، شيخ الخفر وذراعه الأمنية اليُمنى.. حمل الزكي بندقيته وهو يبرم شاربه في زهو وثقة. مشى أمامهم وصولًا لمنزل مغلاوي، هاجمت الرائحة الكريهة أنفه، ظهرت علامات الاشمئزاز على وجهه. بالطبع موقف كهذا لا يتكرر كثيراً، تجمّع أهل القرية خلف الزكي، وشيئًا فشيء بدأ يتكوّن طابور طويل من المُتابعين الفضوليين، وبالطبع

لن يترك الزكي موقف كهذا يمُر مرور الكرام، عبث في شاربه وهو ينفخ صدره عاليًا قبل أن يقول بلهجة آمرة: «هذا الوضع ليس جيدًا يا حضرات، من فضلكُم، لا يصح هذا التجمهُر، دعونا نرى أشغالنا»

تراجع الجمع للخلف قليلًا، تظاهر بعض المُنافقين بتنظيم الجموع ودفعهم للخلف، في الواقع لم يفعل هذا حُبًا في الرجل أو من أجل كسب ثقته، فعلوا هذا من أجل أن يحظوا ببقعة أفضل للرؤية.

طرق الزكي باب مغلاوي ببطء، لكن شيئًا لم يحدث، سمعوا صوته يعلو من الداخل وهو يردد شيئًا ما بلغة غير مفهومة، أنشودة مُخيفة ارتجف لها قلب كُل من سمعها. شعر الزكي بالخوف مثل غيره، طرق الباب بكعب بُندقيته، لكن مغلاوي أجابه بصوتٍ أعلى وهو يردد أنشودته المُخيفة، أشار الزكي لرجلين أن يتبعاه وأمرهما بكسر الباب. توقعوا بعض المقاومة لكن هذا لم يحدُث، انكسر الباب تحت وطأة دفعة قوية من كتفي الرجلين الشبيهين بالثيران البشرية. تمالك أحدهما نفسه واستعاد توازنه بينما سقط الآخر أرضًا وهو يندفع لداخل البيت.

سقط أرضًا أمام باب الغُرفة المفتوح، رأي بعينيه مغلاوي راكع أرضًا وأمامه كتاب مفتوح تتطاير صفحاته سريعًا. يكاد يُقسِم أنه رأى صفحات الكتاب





تتحرّك دون أن يمسها مغلاوي المُستمِر في ترديد تلك الأنشودة المُخيفة. أقسم أحد الرجال أيضًا أنه رأى شيئًا رماديًا يقف أمام مغلاوي بشموخ وكأن مغلاوي كان يُصلي له أو يبتهل إليه. لكن الجميع رأى الزكي حين نادى على مغلاوي، لكنه لم ينتبه إلي الزكي أو يُكلّف نفسه عناء الرد. شعر الزكي بالغضب، اندفع سريعًا نحو غُرفة المغلاوي؛ الراكع أرضًا. لكن حائطًا خفيًا منعه من الاستمرار في التقدُّم، تراجع للخلف وبندقيته تسقُط أرضًا ملتوية المُقدِّمة، مد يده وهو يتلمس فراغ الباب، لكنه وجد شيئًا خفيًا يمنعه، تحسس الفراغ الصلب بيده وعينيه مفتوحتان بدهشة غير عادية. وقف الرجل الساقط أرضًا وهو يعدو خارج الغُرفة ويصرُخ بالناس بهلع: «مغلاوي ممسوس، مغلاوي مخاوي»

ورغم تعارض الجُملتين إلا أن سُكّان القرية البُسطاء صدقوه، هرعوا بعيداً عن المنزل، كُل في اتجاه مُختلِف مُستعداً لنشر الشائعة بعد إضافة بعض التفاصيل الصغيرة التي ستزيد حماسة الأمر..

تراجع الزكي وهو يحمل بندقيته معقوفة الماسورة وخرج سريعًا من البيت، تأمل المكان الخالي، بعض الجيران يتلصصون النظر من خلف نوافذهم وشقوق جدرانهم، لكن المُتابعين الفضوليين لا أثر لهم.





مشي بقدمين مُرتعشتين إلى منزل العُمدة، ووقف أمامه مُتسلحًا ببندقيته كدليل صدق وهو يقص على العُمدة كُل ما حدث..

* * *

تأمله العُمدة بذهول قبل أن تتبدّل ملامحه للغضب وهو يقول: «هل أنت مجنون يا زِكي؟»

تلعثم الزِكي قائلًا: «لم أخبـ... لم أخبرك سوى الحقيقة يا سيدي»

وقف العُمدة بهدوء وهو ينظر للزكي بغضب. تراجع الزكي للخلف بخوف وهو يرتعد. أمسك العُمدة عصاه واستَنَد إليها، مشى بهدوء وتبعَه الزكي بخوف، وصل العُمدة بعد عدة دقائق من المشي إلى منزل كئيب على أطراف القرية. طَرَق الباب بهدوء، خرج رجل يرتدي ملابسه الداخلية، ورغم أنه يقف في حضرة العُمدة لكنه لم يهتَم، نظر للعُمدة وعيناه مليئة بالتساؤل؛ قال العُمدة بهدوء: «أريد منكَ خدمة»

نظر له الرجل لوهلة قبل أن ينظر للزكي ويراقب طرف بُندقيته المثني بهدوء، أغلق الباب في وجههم. بعد لحظات خرج وهو يرتدي جلبابًا قديمًا، مُهترئًا في بعض الأماكن، ملئ بالبُقع





والقذارة، وقف أمام العُمدة بتحدي وهو يقول: «المطلوب؟»

«سننفي مغلاوي، يبدو أنه يتحدانا»

صمت قليلًا كأنه يتذوق الذي قيل قبل أن يُضيف: «والمُقابل؟»

«لا مُقابل، أنت الآن ترد لي خدمتي لك»

فكّر الرجل للحظة قبل أن يمُط شفتيه وهو يرفع كتفيه بعدم اهتمام ويسير أمامهم، كان يعرف مكان بيت مغلاوي. وصلوا إلى البيت، تقف الجموع تراقبهم من بعيد، هذه المرة كان البيت هادئا، لا أنشودة مُخيفة، لا سد شفاف، لا شيء.

دخل الرجل الغامض إلى البيت بثقة، وصل للداخل ليجِد مغلاوي ينتظرهم، كان يجلس على كُرسي مُقابل الباب، مُنكس الرأس، كان بانتظارهم. بمُجرد دخلوهم رفع رأسه لينظر لهم، رغم أنه كُل شيء على ما يُرام لكن قلوبهم ارتجفت هلعًا، شعروا بوجود شيء خاطئ، نظرته... كانت حادة ثاقبة، لا ينظر لهم مُباشرة، كأنما ينظُر إلى أرواحهم، يخترقها بنظرات حادة... شعروا بالخوف، تراجع الزكي والعُمدة للخلف، لكن الغامض نظر له بأعين كسولة وعدم اهتمام، اتسعت ابتسامة مغلاوي



الساخرة لترتسِم على وجهه، لكن الأمر الذي لم يتوقعه كان ابتسامة الرجل الغامض الساخرة التي اتسعت بدورها.

سألهم مغلاوي: «ماذا تريدون؟»

هل تحركت شفتيه؟

أجابه العُمدة وهو يحاوِل أن يتظاهر بالشجاعة: «نريد أن نفهم ما يحدُث هنا؟»

أجابه مغلاوي بسُخرية: «وهل فهمت كُل ما في الكون ولم يعُد سوى شأن مغلاوي هو الذي لم تفهمه؟»

صرخ فيه العُمدة بغضب: «مغلاوي»

لمعت شرارة الشر في عيني مغلاوي وهو يصرخ فيه: «رضـــا»

الذي حدث بعد هذا كان أكبر من قدرتهم على الفهم، بدا مغلاوي في غضبه كأنه يهتز. كما لو أن كيانًا شفافًا يرتعد داخله، ملامحه تهتز لتبدو مُتداخلة تارة، ومُتناسقة تارةً أخرى، الوحيد الذي لم يهتم كان الرجل الغامض، الذي قال له في هدوء:





«أنتَ تعرف جيداً أنني لا أهتم، لا أهتم إطلاقاً، مغلاوي... يجب عليكَ أن ترحَل»

صرخ مغلاوي بصوتٍ أجش شرس: «لن ارحل، سأحكُم... سأكون إلهكُم الذي ستعبدون»

تراجعوا أمام ثورة غضبه، حتى الرجل الغامض الذي لم يهتَم في البداية بدا وكأن الأمر الآن يُهدد هدوءه وطمأنينة قلبه. تراجع خطوتين للخلف بشك. ظهر الظل الرمادي خلفهم، شعروا به، لكنهم لم يروه، أمر مغلاوي بصوتٍ لم يسمعه غيره: «أريدك أن تستسلم. أريدهم أن يتم نفيك خارج القرية»

ظهرت الحيرة في عيني مغلاوي لتحل محل الغضب وهو يتساءل: «لماذا؟»

تحول لون الظل للرمادي الغامق، علامةً على شدة الغضب وهو يقول: «آمر، فتطيع، تسأل، فتعاقب»

نظر للأرض في خشوع وهو يهمس: «حسناً يا سيدي، تقبل اعتذاري... أرجوك»

استسلم لهم مغلاوي بخنوع، قبضوا عليه وهو يقودوه لخارج البلدة، ألقوه على حدود البلدة وحذروه، هكذا كانت قوانين قريتهم، ينفون





الشخص خارج مُجتمعهم، وإن صمّم على العودة مرة أخرى، يُقتَل.

تركوه خارج البلدة وعادوا نحو القرية. وبمُجرَد مرورهم بجوار منزل الرجل الغامض، تركهم ومشى نحو كوخه، ناداه العُمدة. توقف وهو ينظر نحو كوخه للحظات، قبل أن يتنهد بيأس وهو يعود للخلف ويمشي خلف العُمدة.

دخل العُمدة إلى منزله، وبسُرعة نحو مكتبه، تبعه الرجل ذو الجلباب، دخل الغُرفة وأغلّق الباب خلفه وهو ينظر للعُمدة مُتسائلًا: «ماذا تريد مني يا أبي؟»

* * *

قاطعه حلمي بدهشة: «انتظر. هل هذا الرجل الغامض هو ابن العُمدة؟ إذن لماذا يعيش وحيداً؟ ولماذا يرتدي ملابس قديمة مُهترئة قذرة؟»

* * *

جلس العُمدة على مكتبه وهو يقول لولده الواقف أمامه: «التاريخ يُعيد نفسه يا أحمد»





راقبه الشاب لوهلة قبل أن يقول: «أنتَ تعرف جيداً أن التاريخ سيظل يتكرّر إلى يوم الدين»

«لم أتوقَع أن يبدأ الأمر بتلك السُرعة مرةً أخرى»

«أنا توقعت هذا وكُنت أستعد لمواجهة الأمر، لكنك تدخلت وصممت أن تضع حداً لمحاولاتي»

«يا بني، أنت انغمست في مُستنقع السحر القذر، وضعت قدمك على طريق الكُفر وخطوت أولي خطواتك فيه»

«كان هذا ضروريًا، وأنت تعرف هذا أكثر مني»

«كان عليك أن تتركه لغيرك يا بني، نحن خُلقنا للعمودية والقيادة، لم نُخلق للبطولة والمواجهات الشيطانية»

«يا أبي، أنت خُلقت للعمودية، وأنا خُلقت للبطولة ولمواجهة أشياء أنت لا تعرف عنها شيئًا »

«يا ولدي...»

«عليك ألا تنسى أننا شخصان مُختلفان، وأن كوني ابنك لا يعني أن أكن صورة مُكررة منك»

«أعرف هذا، لكني أخاف عليك»





«لا تخف، أنا بأمان»

* * *

نظر له حلمي وهو يقول: «هناك شيء، لا أفهمه. لا... لا... هناك أشياء عديدة لا أفهمها»

أجابه الشيخ: «عليك أن تسمعني جيداً، يجب أن أنتهي من حديثي قبل غروب الشمس»

تساءل حلمي بخوف: «لماذا؟ ما الذي سيحدُث عند غروب الشمس؟»

« سأجب سؤالك هذا في النهاية.. الآن عليك أن تسمعني جيداً، ما سأقصه عليك حدث قبل كُل هذا»

* * *

دخل العُمدة إلى بيته في وقتٍ مُتأخر. خلع جلبابه وجلس في غُرفته بملابسه الداخلية، دخلت زوجته وخلفها الخادمة تحمل إبريقًا معدنيًا وصحنًا واسعًا مليء بالماء الدافئ. وضعت الصحن عند قدميه وهي تصب له الماء كي يغسل وجهه ويديه قبل أن يتوضأ سريعًا، نظر للخادمة وهو يقول: «جهزي العشاء ريثما أصلي، أين أحمد؟»





ظهرت علامات القلق على زوجته وهي تقول بتوتر: «في غُرفته»

تثائب وهو يُشمِّر كُم قميصه الداخلي مُتسائلًا: «متى عاد من الخارج؟»

قالت زوجته بصوتٍ خافت: «لم يخرج من الأساس كي يعود»

احمرت عيناه غضبًا وهو يسأل: «ظل في غُرفته الثلاثة أيام الماضية؟»

«نــ... نعـ... نعم»

«لا إله إلا اللّه، ثلاث أيام مُتتالية لا يخرُج من غُرفته. متى يأكل ومتى يشرب، سأصلي وأذهب لرؤية هذا الفتى..»

خرجت الخادمة من الغُرفة وهي تمصمص شفتيها وتتمتم: «سُبحانك يا رب، ناس تتمنى لو يخرج أبناءهم من الغرف، وناس أخرى تتمنى لو يدخل أبنائهم البيت من الأساس»

ذهبت لتُعد طعام العشاء تنفيذاً لأوامر الحاج، الذي صلى العشاء وذهب لغُرفة ولده.. طرق الغُرفة وهو يسمع صوت الأنشودة التي يعرفها جيداً،





ارتجف قلبه، طرق الباب بقوة لكن ردًا لم يأتيه من الغُرفة، لم ينتظر كثيرًا. كان قد فهِم الذي يحدث، كسر الباب بكتفه واندفع لداخل الغُرفة يتأمل جسد ولده الواقف في وسط نجمة خُماسية مرسومة بدم جاف فوق الأرضية. جرى نحو النجمة وحاول دفع ولده من داخلها، لكن الفتى رغم ضعف بنيته لم يتزحزح من مكانه، لكنه شعر بشيء يقطع صلاته، فتح عينيه وهو يتأمل والده الذي تتصارع في عينيه نظرتا هلع وحُزن.

صُعق لرؤية والده القوي وهو خائف. انقطع عن صلاته ونظر لوالده وهو يحاول أن يصل لأي قطعة ملابس يستتر بها جسده العاري، أمسكه والده من ذراعه بقوة وهو يقول: «من أين أتيت بكُل هذه الكُتب، من علمك هذا العلم!»

انتزع الفتي ذراعه من يد والده بقوة وهو يقول بغلُظة: «سيدنا الحبهاني أتاني في المنام وأخبرني عن مكان تلك الكُتب وطلب مني أن أتعلم كيف أقاوم الشر، الشر قادم يا أبي، وعلى أحدنا التصدي له»

نظر له والده بخوف وهو يقول: «الشر لن يأتي يا ولدي، لن يتكرر الأمر يا صغيري، ليس الآن على الأقل»





«لكن لو تكرر يا أبي، على أحدنا التصدي له، اختارني سيدنا الحبهاني للأمر»

«أنت تعرف جيداً أن المُكلفين بتصدي الأمر هم عائلة المُصطفي، وهم من نسل أيوب المُصطفي الساحر الذي تسبب حضر هذا الشيطان اللعين للمرة الأولى، وأن إخوته وقد كانوا خُبراء في السحر مثله تماماً تصدوا له ونجحوا في ضحد هذا الشيطان اللعين، وقتلوا شقيقهم من أجل ألا يتكرر الأمر، وأن الدور الآن عليهم هُم وأبنائهم للاستعداد كي لا يعود الأمر كما أخبرهم وهددهم الشيطان قبل أن يرحل»

«وأنت تعرف يا أبي أن سيدنا الحبهاني رجل من أولياء اللّه الصالحين، وأن من يراه في الحلم عليه أن يُنفِذ ويُطيع، وصدقني يا أبت الشر قادم وقريباً للغاية، وأولاد المُصطفي لن يقدروا على مقاومته، على أحدنا أن يكون مُستعداً»

صرخ والده فيه بغضب: «يجب أن تتوقف، وتعيد تلك الكُتب إلى مكانها، وإلا قسماً عظيماً أن أحرق لك تلك الكُتب وحين يعود الشر ولا يجد الناس علماً يتحصنون به ستكون أنت السبب، وسيُعلّق ذنبهم في رقبتك ليوم الدين»





لم ينتظر رد ولده، خرج من الغُرفة سريعًا قبل أن يسمع ابنه يقول من خلفه: «لن أتوقف، سأحميهم ... وليحدث هذا الأمر، يجب عليّ أن أكون مُستعداً»

نظر من فوق كتفه وهو يقول: «طلاقًا بالثلاثة من أمك أنك لن تفعل هذا الكُفر في منزلي، منزلي ليس بمنزلًا للسحرة»

شهقت المرأة من داخل غُرفتها، كانت تسمع الحديث الدائر بين زوجها وابنها، وكانت تعلم جيداً أن أيهما لن يتراجع.

قال الفتي بتحدي: «لن أتوقف»

«إذاً أنت لست ولدي ولا أعرفك، أنت مطرود بلا رجعة، ولتعش وسط شياطينك للأبد.»

* * *

نظر له حلمي وقد بدأ يجمع بعض الخيوط ويكوّن فكرةً عامة عما حدث من قبل. سأله الشيخ بابتسامة لطيفة: «نظرتك تقول أنك فهمت بعض الأمور، لكن هناك بعض التساؤلات تبدو جليةً في عينيك، أراها بوضوح وأعرف فيم ستسأل قبل أن تسأله.»





انتبه حلمي للهجة الأبوية الحنونة التي يُخاطبه بها الشيخ، فابتسم بدوره قائلًا: «حسنًا، وماذا تنتظر؟»

«هل أنت مُستعد لأصحبك في رحلة سعيدة داخل عائلة المُصطفى؟»

«هيا بنا»

* * *

هناك مثل قديم يقول: «يُخلَق من ظهر العالِم فاسد»

عائلة المُصطفى هم أفضل تطبيق لهذا المثل، والدهم المصطفى كان أحد أولياء اللّه الصالحين، رجل تقي ورع. يحفظ كتاب اللّه ولا يترك فرضًا إلا صلاه في وقته، وكذلك أولاده جميعًا، إلا أيوب، كان أيوب هو شذوذ هذه القاعدة.

كان الفتى فاسدًا، تاركًا لصلاته، شاربًا للخمر، سبابًا لعانًا، قرر والده أن يُعيد تربيته، فأبلغه رسميًا بحرمانه من الميراث إلى أن يعود لصوابه.

سبه ولعنه ولم يُراع حتى أنه والده، ولا انتبه للحُزن الذي بدا على ملامح والده، لم يهتم..





ذهب يومها ليسهر مع أصدقائه في ماخور قديم، يشربون الحشيش ويتجرعون الخمر ويرافقون النساء، لاحظ يومها أصدقائه أنه ليس في حالته الطبيعية، سألوه فحكى. أخبره أحدهم أنه يملُك الحل، قاده نحو الغابة المُظلمة، اتجه إلى شجرة بعينها وحفر تحتها حتى ظهر كتاب قديم، أعطاه له وهو يقول: «يحتوي هذا الكتاب على مئات الطُرق المُختلفة لاستدعاء مئات الشياطين المُختلفة، ابحث عن شيطان يرزقك بالمال الوفير وحضره»

سأله أيوب وهو مخمور: «ولماذا لم تفعل أنت هذا؟»

نظر له صديقة نظرة ذات مغزى وهو يقول: «مقدر ومكتوب»

لم يفهم المغزى من جُملته لكنه أخذ الكتاب وذهب ليبيت عند إحدى الفتيات التي يعرفها. رقد بجوارها عاريًا بعد أن انتهى منها، نامت كالقتيلة، لكن النوم خاصم عينيه، قاوم يعبث بملابسه وهو يخرج الكتاب، بدأ يقرأ فيه، وفي النهاية ومع أول نور للصباح كان قد قرر ما سيفعل.

لن يستدعي شيطان المال... سينتقم منهم جميعًا وبأبشع الطُرق.





وكلما مر يوم، انغمس أيوب في السحر أكتر، في النهاية نجح، وحضر الشيطان المريد، هدد أمن القرية. انتقم من كثيرين، كانت كارثة، لن أزعجك بالعديد من التفاصيل الآن، المُهم أن إخوته وأبيه تصدوا لشيطانه. ويبدو أن الأب كان يملك العديد من الكرامات فعلًا لأنه نجح في التصدي للشيطان وطرده من القرية.

لكن الشيطان أبى أن يرحل بسهولة، سمعه الجميع وهو يلعنهم قائلًا: «سيدور الزمان ويعيد نفسه، وكل حين ستلقوني، عليكم أن تستعدوا لي جيداً، لأنني سأحضر ولن أرحمكم، سواءً كُنتم مُستعدين أو غير مُستعدين»

يومها حدث أمر غريب في كُل بيوت القرية، حوائط البيوت نزفت دماءا على شكل كلمة واحدة: «سأعـود»

وجدوا أيوب يومها مُحترقًا في الغابة. لكن الغريب أن جسده كان مُحترق لدرجة التفحُم لكن ملابسه سليمة وكأنها لم تمس، وكأنه احترق أولًا ثم ألبسوه ملابسه فيما بعد.

تصدت عائلة المُصطفى من يومها للأمر، وتوارثوه جيلًا بعد جيل، تعويضاً لأهل القرية عما حاق بهم





بسبب أيوب، لم يدخل غمار اللعبة غريب سوى أحمد الشتيوي ابن العُمدة الحاج رضا الشتيوي.

ويبدو أنه كان مُحقًا.

لأنه في يوم ما استيقظ الجميع ليجدوا كُل أفراد أسرة المُصطفى مصلوبين على حوائط بيوتهم وقد فارقوا الحياة، علامات الألم الشديد تبدو على وجوده جُثثهم.

مات الأمان بموت أفراد عائلة المُصطفى.

لم يعُد لديهم من سد أمان سوى أحمد الذي يعيش كاللاجئين على أطراف القرية بملابس مُهترئة قذرة ويرفض العودة للمنزل، يقولون أنه غاضب بسبب طرد أبيه له, لكن الحقيقة كانت أنه يخشى على أسرته من شره.

لهذا لجأ له أبوه حين عرف أن مغلاوي يعيد تكرار التجربة مرة أخرى وبالفعل نجح أحمد في التصدي له.

* * *

سكت الشيخ قليلًا قبل أن يقول: «هل لاحظت التكرار يا ولدي؟ في البداية طرد المُصطفي ولده





من الدار، فلجأ لكُتب السحر، حضر الشيطان، تغلب عليه شخص ما، مات الشخص بطريقة بشعة... ثم طرد العُمدة ولده من الدار، بسبب كُتب السحر، لكن هذه المرة ليكون سداً منيعًا ضدهم، ثم سقط مغلاوي في فخ كُتب السحر بإيعاز من بكر الخائن عميل الشيطان، وطُرد من البلدة بواسطة أحمد، الذي اختفى في ظروف غامضة ويتوقع الجميع أنه مات مثل أفراد عائلة المُصطفى»

«تاريخ يتكرر، حسنًا... متى ستنتهي تلك اللعنة؟»

«بدأت بقدومك يا ولدي، أنت الغريب الذي تسبب في فتح باب اللعنات، إن نجحنا في إغلاقه ستنتهي القصة ونعيش في سلام للأبد، وإن لم ننجح... سنفنى»

نظر له حلمي وهو يبتسم بقلق قائلًا: «إن شاء اللّه سننجح في غلقه، لكن لديّ سؤال أخير»

«أعرفه يا ولدي»

«وهو؟»

«كيف عرفنا بشأن باب اللعنات وتفاصيله؟»

«بالضبط»





«رغم كون أحمد يعيش على طرف القرية إلا أنه يظهر بين حينٍ وآخر، لكن فجأة وفي أحد الأيام انتبهنا إلى أنه لم يظهر لفترة طويلة، قررنا أن نذهب للعُمدة وحينها أرسل وفداً من أهل البلدة إلى الكوخ الخاص به، كُنت وقتها شاباً فضولياً لذا تبعتهم وصممت على الذهاب معهم، ولأنه خائفين لم يعترض شخص منهم، كلما زاد العدد... كُلما زاد الأمان، وصلنا للكوخ، رائحته كريهة، نظرنا لبعضنا البعض بخوف، يبدو أن ما كُنا نخشاه حدث، أحمد مات بطريقة بشعة مثلما توقعنا، خشي الجميع التقدم، في النهاية حسمت قراري، سأتقدمهم أنا»

«وبخطى مُرتعشة تقدمت نحو الكوخ، وقفت أمام بابه، سددت أنفي كي أمنع تلك الرائحة من التسلُل إلى روحي، نظرت لهم نظرة أخيرة قبل أن أتنفس بعُمق، فتحت الباب ببطء ونظر داخل الكوخ، وصدقني يا ولدي، ما رأيته بالداخل، لن أنساه طوال عُمري»

صمت قليلًا، هذا الشيخ ماكر، يعرف كيف يبيع بضاعته، كيف يضفي على قصته تشويقاً ويجذب مُستمعيه، بعد لحظات بدأ يستكمِل: «كان الكوخ فارغاً، في مُنتصفه جُثة لغزالة مذبوحة ومُتحللة، ويبدو أنه استخدم دماءها ليكتُب...»





«ماذا كتب؟»

«غريب، غريب هو مفتاح باب اللعنات، هو من سيفتحه... وهو من سيكون بإمكانه إغلاقه. احذروا الغُرباء، احذروا الغُرباء، احذروا الغُرباء، انعزلوا عنهم، عيشوا مثلما عاش الغُرباء، تقوقعوا، لا تتعاملوا معهم، امنعوهم من دخول القرية، انبذوا التقدم والحضارة، عيشوا بمفردكُم، أرجوكم... احذروا الغُرباء، احذروا الغُرباء، احذروا الغُرباء، غريب، غريب هو مفتاح باب اللعنات»

«وأنا الغريب يا شيخ؟»

«أنت الغريب يا ولدي»

«أعتذر لكُم لكنني لم أكُن أعرف كُل هذا، بإمكاني الرحيل حالًا لو أحببتم»

«هو من سيفتحه ... وهو من سيكون بإمكانه إغلاقه يا ولدي، لن ترحل قبل أن تُغلق باب اللعنات»

«لكن ماذا إن لم أنجح؟»

«إذًا كُتب عليك الموت معنا ووسطنا»

«قُلت لي من قبل أنك يجب أن تنتهي من قصتك قبل غروب الشمس، والآن الشمس على وشك





الغروب، ماذا سيحدُث؟»

«حين تغرب الشمس، سينفتح باب اللعنات، وسيكون علينا أن نواجه لعنتنا الأولى، هل أنت مُستعِد؟»

«لا....»

«ولا نحن يا ولدي، ولا نحن!»





( ٥ )

(عمالقة الظلال)

غربت الشمس. راقبها سُكّان القرية من منازلهم بخوف. بكى الصغار خوفًا، وارتجف الكبار هلعًا. لم يُفتَح باب اللعنات هذا من قبل. وهذا أسوأ، هم يواجهون مجهولًا وهذا في حد ذاته أمر مُخيف.

عدو قوي معروف، خير ألف مرة عن عدو ضعيف مجهول.

المعلومات التي تعرفها عن خصمك تتيح لك أن تستعد لمواجهته، أن تستعد لمجابهته، ألا تخشاه من كُل قلبك، مهما بلغت قوته.

أغلق الآباء أبواب أكواخهم على عائلاتهم، احتضنت الأمهات أطفالهن. ربت الأشقاء الكبار على أخواتهم الأصغر سنًا، لم يجرؤ أي شخص مهما بلغت قوته أن يخرج خارج كوخه، مهما كان الأمر هامًا طارئًا.

وعلى غير العادة كانت الليلة هادئة؛ وحل الظلام وسيطر على كُل الموجودات. شُعلات النار التي يستعين بها السُكّان لمحاربة الظلام ظلت، صامدة في غياب الرياح، وهذا أمر غريب. بالأمس عاصفة مُمطرة بشكل غير طبيعي واليوم هدوء





واستقرار. بعد مضي بعض الوقت شعر الجميع بالراحة، يبدو أن باب اللعنات لن يُفتَح تلك الليلة، استسلم بعضهم للنوم أو للاسترخاء، انشغل آخرون بالحديث مع بعضهم البعض، هبطت بوابات الحرص جانبًا لتسمح للامبالاة بالتسلُل لقلوبهم.

نام من نام وجلس من جلس، لكن الجميع وبلا استثناء سمع ذلك الصوت..

صوت خطوات ثقيلة تقترب ببطء بالغ من القرية. الصوت يحيط بهم من كُل مكان، كأنهم مُحاصرون، توقفت بعض القلوب خوفًا وهي تستمع لصوت الخطوات، تقترب من كُل حدبٍ وصوب.

كان حلمي يبيت في كوخه الذي أفاق من إغمائه فيه، تركوا له إبريقًا مليئًا بالماء وبعض قطع الخبز اليابس غريب الطعم. كان قد نام حين استيقظ وهو ينصت. تأكد من أنه أفاق جيداً وأنه لا يحلَم. لم يكُن يعرف ماذا عليه أن يفعل؟ هل سيظل محبوساً في كوخه خائفًا؟ يبدو هذا الحل وكأنه الحل الأنسب والأفضل، لكن ضميره صرخ به، مُنبهاً إياه أنه السبب في كُل ما يحدث، هو السبب في فتح باب اللعنات..





فتح باب كوخه ببطء وهو يخرج رأسه أولًا، تأمل المكان من حوله. الظلام الدامس يسيطر على كُل شيء. تحرك ببطء وهو ينتبه لصوت الخطوات الذي يقترب شيئًا فشيء. وصل لكوخ الشيخ وقبل حتى أن يطرُق بابه وجد الباب يُفتح له. كان الشيخ بانتظاره، وجهه شاحب ونظرة قلق في عينيه، سأله حلمي بصوتٍ خافت: «ما الذي يحدُث؟»

رفع الشيخ كتفيه في إشارة لعدم الفهم وهو يقول: «لا أعرف، لكن الصوت مُخيف»

قال حلمي بخوف: «كأن آلاف العمالقة يقتربون من القرية...»

ربت الشيخ على كتفه محاولًا تهدئته وهو يقول: «لقد أرسلت لثلاثة رجال من القرية كي نجتمع هنا سويًا. لم أرسل لك لأنني كُنت أعرف جيداً أنك آت»

«كان يجب أن أحضر، أنا من تسبب في فتح باب اللعنات، وإن صدقت النبوءة، فأنا فقط من بإمكاني إغلاقه»

سمعوا صوت طرقات على الباب، لكن الطارق لم ينتظر رداً من الداخل. فتح الباب بسُرعة ودلف هو وشخصين سريعًا لداخل البيت قبل أن يغلقوا الباب من خلفهم. علامات القلق والتوتر ظهرت





عليهم جليةً، عرف منهم حلمي شخص واحد، عمّار الذي اعترض عليه في البداية، أما الآخرين أحدهما قصير تبدو في ملامحه علامات الذكاء والمكر رغم ضعفه الجسدي وسوء التغذية الذي يعاني منهما. والآخر قوي البنية مفتول العضلات رغم النظرة الفارغة التي تظهر في عينيه.

عرفه الشيخ على الحاضرين جميعًا: «هذا نجيب، أحد أذكي الموجودين في القرية، سريع التعلُم حاضر الذهن، يستطيع أن يقيّم الأمور ليتخذ القرار المُناسب في أسرع وقتٍ مُمكِن. والآخر القوي هذا هو ماجد، أضخم الموجودين بالقرية وأحد أكثر الرجال الذين ستعرفهم في حياتك قوة وشجاعة، لا يخاف ويخشى شيء. لن يتردد لحظة في مواجهة أي شيء من أجلنا، بالطبع أنت قابلت عمّار من قبل، وعمّار هو خليط منهما، ذكي وسريع البديهة وكذلك يتمتع بقدرٍ لا بأس به من القوة»

حياهم حلمي بابتسامة لطيفة رغم نظرة السُخرية والاحتقار التي رآها في عيني عمّار. لكن الوضع الآن لا يحتمل أية نقاشات جانبية أو أية جدالات، جلسوا أمام الشيخ وهو يقول: «لا نعرف حقيقة الوضع، لا نعرف من نواجه أو مدى قوته، يبدو أن باب اللعنات قد فُتِح واللعنة الأولى قد بدأت، لكن الغريب أننا حتى هذه اللحظة لا نعرف ما الذي نواجهه، يجب





علينا أن نحدد الأشياء التي نعرفها كي نستعد لمواجهة المجهول الذي يتقدم نحونا»

قال ماجد بدهشة: «لكننا لا نملُك أية أسلحة، ولم نستعد جيداً، وليس منا من يستطيع القتال سوى عمّار فقط، مع احترامي لكُم جميعاً»

قال الشيخ وهو يكاد يبتسم: «تلك المعركة تحديداً لا نحتاج فيها سوى لسلاحين، الأول هو الشجاعة والآخر هو الذماء، العقل يا ولدي هو مفتاح كُل شيء، مهما بدا الأمر سهلًا، ومهما كان مُغريًا، عليك أن تفكّر قليلًا قبل اتخاذ أي قرار»

ظهرت علامات الفهم على وجه ماجد، قال الشيخ متسائلًا: «حسنًا، ماذا نعرف عن الأمر؟»

قال حلمي مُنزعجًا من صوت الخطوات الذي يقترب منهم: «أنه يقترب منا وبشدة»

أضاف عمّار: «وأنه صوت خطوات شيء ضخم، لأن صوت الخطوات ثقيل للغاية»

هز الشيخ رأسه وهو ينظر نحو ماجد، فكّر قليلًا قبل أن يقول: «سأؤكد على معلومة الثِقَل لأنه يقترب ببطء شديد»





نظر الشيخ لنجيب، كان ينظُر أرضًا بانتباه، قبل أن ينظر لهم والقلق يتراقص في عينيه وهو يقول بصوت يرتعش هلعًا: «هناك شيء هام، لم تلاحظوه جميعًا»

نظروا للأرض يبحثون عما لم ينتبهوا له، قبل أن يُعالجهم نجيب بالضربة القاضية: «أين هي ظلالنا؟»

نظروا للأرض سريعًا نحو ظلالهم التي اختفت، رغم أن الغُرفة مُضاءة بالكامل بشعلة نيران ضخمة، لكنهم كانوا جميعًا بلا ظلال..

تبادلوا النظرات بقلق وهم ينظرون للخارج.

عرفوا جميعًا في تلك اللحظة أن عدوهم لم يعُد مجهولًا، سيواجهون ظلالهم!

* * *

ظل ماجد يُردِد: «ما علاقة الظلال بالأصوات؟ ما علاقة الظلال بالأصوات؟»

كان الأمر أكبر من قدرته على الفهم أو التقبُل، صرخ به الشيخ بشدة: «ماجد، اصمُت»

صمت ماجد وهو يرمُق الشيخ بنظرة عتاب لأنه صرخ به بهذا الشكل أمام الغريب، لكن الوقت لم





يكُن مناسبًا للعتاب، ابتلع البقية الباقية من كرامته وهو يسكُت تمامًا، اقترب نجيب من شُعلة النيران القريبة وهو يحرك يده أمامها، باحثًا عن ظله، او على الأقل عن تفسير مُقنِع لما يحدُث، أمرهم الشيخ أن يتماسكوا، كان قد شعر بالتوتر يُشتت شمل هدوئهم، قال لهُم محاولًا استعادة السيطرة قليلًا: «ماجد ونجيب سيبقون معي هُنا، عمّار وحلمي أريدكم أن تخرجوا للقرية، أريد منكُم أن تتأكدوا من أن كُل الظلال قد اختفت من القرية، أريدكُم أن تفعلوا هذا بمُنتهى الهدوء والصبر، أريد أن يشعُر أهل القرية أن الأمور على ما يُرام. اعرفوا لو لاحظ شخص غيرنا قصة اختفاء الظلال واجمعوا الأفكار عن كيفية مواجهتها، أريدكم أن تفعلوا كُل هذا بأكبر سُرعة مُمكِنة، لا نعرف هل للظلال علاقة بصوت الخطوات المُرعب أم أنها موضوعان مُنفصلان»

هز عمّار رأسه وهو يقول لحلمي بطريقة مُستفزة: «هيا أيها الغريب»

استفزت طريقته حلمي فصاح به في تحدي: «لي اسم، اسمي حلمي»

صرخ بهم الشيخ من الخلف بنفاد صبر: «وهل هذا وقته؟»





خرجوا وهم يتبادلان نظرات التحدي، تأمل حلمي القرية. كانت مُختلفة تمامًا عن الصباح، الشوارع خالية تمامًا، لا أثر لمخلوق في الجوار، اختفت روح القرية باختفاء أهلها، وقفت أكواخها وحيدة وسط الظلام، تتراقص شُعلات النيران مع نسمات الهواء البارد. أشار عمّار إلي الأرض وهو يقول لحلمي: «يبدو أن الظلال لم تختفي بأكملها، فظلال الأكواخ لازالت صامدة مكانها بثبات»

نظر حلمي لظلال الأكواخ وهو يكاد يُثني على ذكاء عمّار لكنه قرر الاحتفاظ برأيه لنفسه، طرقوا أقرب الأكواخ لهم، سمعوا صوت مُرتعد يقول من خلف الباب الخشبي: «ارحل كائنًا من كُنت، لديّ سلاح ولن أتردد في استعماله»

أجابه عمار بصوتٍ لطيف محاولًا طمأنته: «أنا عمّار يا رفيق، وبصُحبتي حلمي الغريب»

مرت لحظات صمت، قبل أن يُقرِّر أن يفتح الباب ببطء، كان صوت الخطوات قد اقترب للغاية، بطريقة تُثير الرعب في القلوب، حين اطمأن لماهية الزوار سمَح لهم بالدخول. كان كوخه تبدو عليه علامات الفقر وقلة الحيلة، تحتضن الأم ولديها وتجلس في رُكن الكوخ تحاول طمأنتهم لكنها في الحقيقة تبحث عن الأمن بين حضنهما. أشار عمّار لحلمي بطرف خفي لينظر نحو الأم وولديها،





لم تكُن ظلالهما موجودة، لكن يبدو أن رفيق وعائلته لم يلاحظوا الأمر بعد. تحدث معه عمّار قليلًا وطمأن قلبه قبل أن يستأذنه ويخرُج، أكملوا رحلتهم وسط القرية وبين الأكواخ، دخلوا عشرات المنازل التي تخوّف أهلها من زيارتهم في مثل تلك الظروف. لكن عمّار كان ذكيًا، يستطيع أن يكسب ثقة الشخص الذي أمامه بأقل عدد مُمكِن من الكلمات. في النهاية استقروا على التالي، أهل القرية بأكملها لم يلاحظوا بعد اختفاء الظلال. وبالتالي لم يتحدثوا لأي شخص عن أية أفكار عن كيفية مواجهة الأمر.

قرروا العودة إلى كوخ الشيخ خصوصًا وأن صوت الخطوات يبدو الآن وكأنه يحيط بالقرية من كُل اتجاه. مشوا بخطواتٍ سريعة وسط القرية، يحاولون الوصول إلى الكوخ سريعًا. صوت دقات قلوبهم العالية هي الشيء الوحيد الذي ينافس صوت الخطوات البطيئة، بخطوات سريعة أقرب للعدو اقتربا من الكوخ بشدة.

كاد عمّار يطرق بابه حين وجد حلمي يقف في مُنتصف الطريق مُتسمرًا. فاغرًا فاه كالمجنون وعينيه تتراقص فيهما نظرات دهشة لم ير لها مثيلًا من قبل. توقفت قبضته المضمومة قبل أن تصل لباب الكوخ الخشبي بميليمترات. نظر لحلمي بذهول، وبخطوات مُرتعشة بدأ يتجه نحو حلمي





وهو يخشى النظر في الاتجاه الذي ينظُر فيه زميله. تنبه إلى أن صوت الخطوات توقَف. وبسُرعة ترجَم عقله الذكي الأمر له، أيًا كان صاحب الخطوات، فهو توقف. ومن نظرة حلمي للسماء عاليًا فهو يراه بوضوح...

وصل إلى صديقه وتأمله للحظات قبل أن يرفع عينيه ببطء نحو السماء

ويراه!

* * *

ظل طويل للغاية. طويل لدرجة العملقة. شعر عمّار بالدهشة وهو يراقب الظل الذي وقف عاليًا يتأمل القرية بفضول. نحيف كان، نحيف للغاية، قدماه طويلتان وذراعاه أطول. تكاد أصابعه تلمس الأرض وهو يقف مُستقيمًا بلا أية انحناءة. لا ملامح في وجهه، فقط كُتلة صمّاء من اللون الأسود الداكن، يكاد يُنافِس الليل سوادًا.

لكنه لم يكُن الوحيد، كانوا أربع، وقف كُلًا منهم على طرف من أطراف القرية، يراقبون القرية بهدوء، الهدوء الذي يسبق العاصفة في الحقيقة. يتأهبون لهجومهم، لكنهم يدرسون الموقف أولا. فهِم عمّار وحلمي سبب بُطء الحركة وصوت الخطوات





الثقيلة الذي سمعوه، أفاق عمّار من دهشته. أولًا، جذب حلمي من ذراعه بقوة وهو يجبره على التحرُك، تحرك حلمي سريعًا وهو لا يستطيع أن يُحرِّك عينيه عن الظل العملاق.. طرق عمّار الباب بشدة وخوف، فتح له الشيخ الباب وهو يسمح له بالدخول، أغلق عمّار الباب خلفه بقوة وهو يقول للشيخ بصوتٍ يرتعد خوفًا: «الظلال، الظلال تهاجمنا»

نظر له الشيخ بدهشة وهو يقول: «هذا نعرفه يا ولدي، لكن ملامحكما تقول عكس هذا، ما الذي يحدُث بالخارج؟»

ابتلع حلمي ريقه بصعوبة وهو يقول: «ظلال أربع تهاجمنا من كُل اتجاه، ظلال سوداء عملاقة تراقب القرية بفضول»

ظهرت علامات الخوف على الشيخ، لكن ماجد لم يكُن مثلهم، كان ماجد دومًا يتصرف بلا عقلانية. ركض نحو الباب وفتحه، ربما أراد أن يتأكد بنفسه، وربما كان لا يُصدِق ما يُقال، ركض أمام البيت وهو ينظر عاليًا نحو السماء، ليُطالع الظل الضخم. الذي يُراقب القرية بفضول، ويبدو أن تصرُف ماجد كان هو علامة البدء. نظر ناحيته الظل، ورغم عدم وجود ملامح في وجهه الأسود المُسطّح إلا أن ماجد كان مُستعداً أن يُقسِم للجميع أنه نظر نحوه





بكراهية، رفع الظل يده السوداء الضخمة ببطء، قبل أن يهوي بها بسُرعة نحو ماجد الذي وقف يتأمل اليد وهي تكاد تسحقه، لكن حلمي كان سريع البديهة، جري نحوه وهو يلقي بجسده نحوه بقوة ليبعده عن اليد. اصطدما ببعضهما البعض وسقطا أرضًا، في ظروف أخرى كان سينتهي الأمر بحلمي مُعاقبًا وبشدة، لكن في تلك الظروف والآن، كان ماجد مُمتنًا له.

تحرّك عمار نحوهما، يُساعد كليهما على النهوض قبل أن يدخلوا للبيت بسُرعة. أغلقوا الباب خلفهم وهُم يسمعون صوت الظلال تتحرّك حول القرية بغضب.

* * *

لم تمُر سوى لحظات قليلة، لم تكفِ حتى للتفكير فيما سيفعلونه لمواجهتهم. سمعوا صوت الخطوات تتنقّل في القرية بغضب، نظروا لبعضهم البعض بخوف، لا وقت للأفكار، حان وقت المواجهة. وفي معركة غير مُتكافئة إطلاقًا. أربعة رجال أشداء أقوياء وشيخ كهل ضعيف، في مواجهة أربعة ظلال عملاقة غاضبة.

سمعوا صوت الأكف العملاقة تصطدم بالأرض في عُنف، وعلى ضوء القمر وضوء المشاعل النارية رأوا





الغبار الذي يتطاير من الأرض خوفًا من العمالقة. لم يكُن الأمر سرًا، هؤلاء العمالقة سيصطدمون قريبًا بالبيوت ويهدمونها على رؤوس سُكانها بلا هوادة أو رحمة، قال عمّار في سُرعة: «علينا أن نقودهم خارج القرية، حتى لا يهدمون بيتًا أو يقتلون شخصًا بواحدة من تلك الضربات الطائشة»

قال حلمي بقلق وقال: «ولكن كيف؟، بالتأكيد لن نخرُج لهم ونطلب منهم أن يتبعونا للخارج»

رد عمّار بغضب: «بالطبع لا أيها الأحمق. لكن علينا أن نجد طريقة ما، وبسُرعة»

سمعوا صوت جدار يتحطم. أطفال تبكي وامرأة تصرخ بوحشية وحزن مزقوا نياط قلوبهم، لا وقت للتفكير، فتحوا الباب وخرجوا جميعًا. كاد الشيخ أن يتبعهم لكن ماجد أمسك به وهو يقول: «لا، أستحلفك باللّه ألا تأتي معنا، لتظل أنت هنا»

هزوا رؤوسهم جميعًا، اضطر الشيخ للامتثال لرأيهم. خرجوا يعدون وسط البيوت وهُم ينظرون عاليًا نحو الظلال التي تضرب الأرض بأيديهم وأقدامهم بغضب. وبعشوائية مُرعبة، رغم كُل شيء، نأمل أن تلجأ الوحوش للنظام لأنه يجعل الأمور أكثر قدرةً على التوقع، لكن العشوائية مُرعبة ونتائجها دومًا مُفاجئة للغاية. اضطروا

للعدو ناحية الصوت، كان المرأة التي تصرخ هي هاجر زوجة الناجي، أحد سُكان القرية، سقط جدار البيت حين لطمه العملاق بيده على قدمها. كانت تتألم بشدة وزوجها يحاول جاهداً أن يرفع الجدار الخشبي الضخم عن جسدها، هرع ماجد من فوره نحوه وهو يمد له يد المُساعدة وعاونهم عمّار وحلمي بعد أن شعروا أنهم بحاجة للمُساعدة.

بينما وقف نجيب يُراقِب العمالقة وهُم يضربون الأرض بأيديهم بوحشية، ورغم عدم وجود أية ملامح في وجوههم المُسطحة إلا أنه شَعَر بالغضب الذي يُسيطر عليهم.

نجحوا في رفع الجدار أخيرًا عن هاجر التي صرخت بألم وهي تحتضن زوجها وولدها، صرخ عمّار بالناجي: «اذهب لمنزل الشيخ، قُل له أن يستدعي السيد حفني الطبيب ليقوم باللازم»

نظر له الناجي بدهشة وهو يُمسِك بذراع زوجته، صرخ به حلمي: «اذهب... الآن»

قال نجيب بهدوء: «علينا أن نُخلي كُل تلك البيوت، على القرية أن تُصبح فارغة تمامًا.»

ورغم بساطة الفكرة إلا أنها غابت عن عقولهم بفعل التوتر والخوف. بدأوا بالفعل في الطرق على





الأبواب ونُصح السُكان بالذهاب لمنزل الشيخ والمنازل المجاورة له على أطراف القرية وترك جميع البيوت الموجودة في مُنتصف القرية خالية تماماً، استجاب لهم السُكّان سريعاً، ليس اقتناعاً بالفكرة، بل تشبثًا في أي شيء يُبعدهم عن تلك الظلال الغاضبة للغاية، وبدون أي سبب معروف.

تمت عملية الإجلاء سريعاً، كان الخوف هو المُحرك الأول والوحيد لسُكّان القرية الصغيرة تحت وطأة الهجوم، اكتظت البيوت المجاورة لبيت الشيخ بالسُكّان، بعض المُصابين من هجمات العمالقة ومن التدافع ملأوا بيتين قريبين من بيت الشيخ. كان السيد حفني طبيب القرية يعمل بأقصى طاقته وجُهده، تعاونه حسناء التي كانت نظراتهم وابتساماتها – رغم خوفها وقلقها – تُسكِّن آلام وجراح المُصابين.

بعد أن نجح الأربعة في إخلاء القرية تماماً من سُكّانها، ظلوا يتفادون ضربات عمالقة الظلال الأربعة. يختبئون في الأركان المُظلمة وأسفل البيوت في محاولة لتفادي اللطمات العشوائية، شعروا بالتعب وبدأ الألم يحتل أجسادهم، كان أضعفهم نجيب الذي وقف وهو يتنفس بصعوبة وسط بيت مُهدّم كان ملكًا لهادي، أحد سُكّان





القرية. صرخ بالظلال بغضب مليء بالتعب: «ماذا تريدون منّا، لماذا تفعلون هذا؟»

وفورًا توقفت الظلال تمامًا، كأنها فهمته، في النهاية سمعوا صوتًا أجشًا مليء بالحقد يقول: «لأنكم استعبدتمونا، سلبتمونا حُرياتنا، سرقتوا إراداتنا الحُرة»

ورغم وجوههم المُسطحة إلا أنهم عرفوا جميعًا أن الظل الأضخم فيهم والموجود جهة اليسار هو الذي تحدث، بينما توقف العمالقة الثلاثة الآخرين وكأنهم بانتظار نتيجة الحديث قبل القيام بأي رد فعل آخر، عرف نجيب أن بإمكانه استخدام ذكائه للحديث مع زعيم الظلال، لربما نَجَح في تهدئته وكسب ثقته، قال له نجيب بهدوء: «ولكن متى فعلنا هذا؟، نحن نراكم الآن وللمرة الأولى»

«كعادتكم أيها البشر، ضعاف النفس، محدودي الذكاء، لا تستحقون نعم اللّه عليكم، ألم تعرف من نحن بعد يا نجيب؟»

«لا نعرفكم، لا نري عمالقة من ظلال كُل يوم»

« نحن ظلالكم، ظلالكم التي استعبدتموها وحولتموها لعبيد رغباتكُم، لا نتحرك إلا لنماثل





حركاتكم، ولا نقدر على التصرف بإرادتنا الحُرة، عشنا حيواتنا كُلها نقلد أفعالكُم الحمقاء»

«وما ذنبنا نحن؟»

«وما ذنبنا نحن أيضًا، نكرر حماقاتكم ونفعلها، نكاد نموت ضجرًا ونحن نراكم تتخذون أسوأ القرارات ولا نملُك سوى مُجاراتكُم»

«لكن الأمر لم يكُن بيدنا»

«ربما لم يكُن الأمر بيدكُم، لكنه الآن أصبح بيدنا، سنملك زمام الأمور ونسيطر عليها، حان الوقت الذي نستعيد فيه حريتنا، حان وقت الانتقام، الانتقام عن حماقات رأيناها ولم نملُك فرصة لتصويبها، عن أشياء أغضبتنا ولم نمُلك القدرة على الاحتجاج، الآن سنسود»

أنهى عملاق الظلال حديثه وهو يضرب نجيب بيده، تحركّك نجيب سريعًا بتفادي الضربة، قبل أن يصرُخ في رفاقه: «حسنًا، يبدو أننا لا نملُك سوى الاستمرار في تفادي الضربات حتى شروق الشمس. حينها سينتهي الأمر مؤقتًا، وسنستغل وقت الصباح في التفكير ودراسة الأمر»





وبالفعل استمروا لساعة تقريبًا في العدو بين بيوت القرية التي تهدَّم منها الكثير بفعل الضربات الطائشة، كانوا يتعثرون أحيانًا ويفقدون تركيزهم أحيانًا أخرى بعل التعب والمجهود المبذول، لكنهم كانوا قادرين على مُجاراتهم والتحمُل.

لكن دوام الحال من المُحَال، سمعوا جميعًا صوت طفل يبكي، خرج من أحد البيوت طفل لا يتجاوز العاشرة. يفرك عينيه بكسل وعلامات الخوف تبدو عليه، بدأ في البُكاء وهو يتطلّع للقرية المُهدّمة، لم يفهم ما يحدُث، يبدو أن أهله قد نسوه في خضم الخوف والهروب. نظروا جميعًا لبعضهم البعض، قبل أن ينظروا للطفل، أقربهم كان ماجد الذي راقب العملاق وهو يغيّر من مسار ضربته ليوجهها نحو الطفل، كان على وشك سحق الطفل تمامًا لولا أن ماجد جذبه من يده جانبًا وهو يحتضنه ويسقط أرضًا.

ورغم أن ماجد يفتقر للذكاء إلا أنه لاحظ شيئًا، أثناء قفزه ليلحق بالصغير من مصيره الشنيع، اهتزت إحدى شُعلات النار، فبهت العملاق قليلًا. لم يعرف هل من المُفترض أن يُخبر رفقائه بهذا الأمر أم أنه يُعطي الأمور أكبر من حجمها. فكّر قليلا قبل أن يُقرّر أن في مثل تلك الظروف، كُل معلومة مهما كانت صغيرة هي معلومة هامة. صرخ بنجيب وهو





يُساعِد الفتى على الوقوف والجري بعيداً: «يا نجيب، حين اهتزت النار، بهت الظل»

صرخ به عمّار وهو يحاول أن يُشتت انتباه واحداً من العمالقة بحركات سريعة: «وهل هذا وقته يا ماجد؟»

لكن حلمي نظر لنجيب وهو يقول: «نجيب، لولا الضوء ما كان الظل»

لم يفهَم ماجد أو عمّار الغرض من وراء جُملة حلمي، لكن نجيب كان ذكيًا وسريع البديهة، فهِم المقصود تمامًا، صرخ بهم بلهجة آمرة: «ماجد ... عليكَ أن تذهب بالطفل لأهله، عمّار وحلمي ... ساعدوني في إظلام القرية تمامًا، أطفئوا كُل شُعلات النيران تمامًا، لولا الضوء ما كان الظل»

قال آخر جُملة وهو ينظر لحلمي ويبتسم عرفانًا بالجميل، لم يفهّم عمار الغرض بعد لكنه عرف أنهم يفهمون الأمر جيداً لذا بدأوا جميعًا في العدو نحو شُعلات النيرات ورمي التراب عليها كي تنطفئ نارها.

بدأ الظلام يُسيطر على جُزء كبير من القرية، لاحظوا جميعًا أن قوى عمالقة الظلال بدأت تضعُف، استمروا في مُهمتهم، ساعدهم ماجد الذي أطفأ





كُل شُعلات النيران في بيت الشيخ والبيوت المجاورة له، حين أطفأ حلمي لآخر شُعلة لاحظوا أن الظلال أصبحت شاحبة، تهتز بعُنف في ضوء القمر الباهت، نظر لهم نجيب بتحدي وهو يقول: «عليكُم الآن أن تعودوا لنا، لأصحابكُم، أن تمتثلوا لنا ولقراراتنا»

حاول الظل أن يتحدث لكن قواه خارت، سقط على رُكبتيه ليسحق أحد البيوت. تهاوي الثلاث الآخرون للخلف نحو الغابات، حين اصطدموا بالأرض تفرقوا، طارت منهم آلاف الظلال لتعود لأصحابها سريعًا، سقط الظل العملاق أرضًا وتفرق بدوره.

ساد الهدوء، تنفس الجميع الصُعداء وهم ينظرون لبعضهم البعض في تعب.

ربت عمّار على كتف حلمي بامتنان قائلًا: «الآن فهمت، لولا الضوء ما كان الظل»

نظر له حلمي وهو يتنفس بصعوبة قائلًا: «لقد نجحنا في إغلاق الباب الأول من أبواب اللعنات»





## (٦)

### (حصر الخسائر)

رمت الشمس أشعتها الأولى بفضول نحو القرية وهي تتأمل بيوتها المهدَّمة وسُكّانها المُرهقين، كانت ليلة عصيبة وطويلة. رغم كِبَر سن الشيخ إلا أنه استطاع الصمود، ساعد الطبيب في مُهمته. هدّأ القلوب الوجلة وطمأن الأرواح القلقة. وحين انتهى الأمر بسلام، كانت ابتسامته المُرهقة علامة على أن القادم سيكون أفضل. جلس الرجال، الأربعة في بيت الشيخ المُزدحم. ملابسهم قذرة مُغطاة بالأوساخ، القذارة تسللت إلى مسامهم، شعر رؤوسهم ملئ بالغُبار الذي استخدموه لإطفاء المشاعل النارية، يلتقطون أنفاسهم بصعوبة، ورغم التعب والإرهاق البادي عليهم إلا أنهم كانوا راضين للغاية عن أنفسهم. لقد هزموا عمالقة الظلام، وهذا شيءٌ لا يحدُث كُل يوم.

وقف عمّار وهو ينفض الغبار عن ملابسه، لكنه لاحظ أن يديه القذرتين تزيدان الأمر سوءاً، فتوقف وهو يمد يده نحو حلمي. كانت بادرة حُسن نية غريبة، لكن حلمي قرر أن ينسى جدالاتهم السابقة وهو يُمسِك بيده ويقف بجواره، قال عمّار بصوت





مُرهَق: «هيا بنا نُساعد الطبيب والشيخ وحسناء. الأمر أكبر من قُدرتهم على التحمُل.»

نظرا نحو ماجد الذي كان ينام بعُمق واللعاب يسيل من بين شفتيه. لا يشعر بأي شيءٍ مما يدور حوله، بينما نجيب كان يقف مُستنداً على حائط وهو يتحدث مع أربعة أو خمسة من سُكّان القرية. يبدو على وجوههم الخوف بينما هو يبذل البقية الباقية من وسعه لتهدئة روعهم وامتصاص خوفهم وتبديله بأمان، استمده من انتصار لم يكُن يحلَم بتحقيقه يوماً. ويبدو أنه كان ناجح في مُهمته، لأنه وببراعة ساحر كان يُبدل خوفهم وقلقهم بأمان واطمئنان.

اقترب منه حلمي وهو يقول: «أيًا كان ما تفعله، فأنت جيد فيه، استمر بتهدئة الناس وتذكريهم أننا هزمنا عمالقة الظلال، وسنهزم كائنًا من يكون حتى نُغلِق باب اللعنات هذا للأبد»

ابتسم له نجيب قبل أن يعود للحديث مع أهل القرية وسُكّانها مرةً أخرى.

* * *

اقترب عمّار من حسناء برفق. وضع يده على كتفها، التفتت له بهدوء. ابتسم لها وهو يقول لها شيئًا،





نظرت نحو حلمي وهي تشير له أن يقترب، ويبدو أن تصرفها هذا أغضب عمّار، اقترب حلمي منهما ببطء. همست لعمّار ببعض كلمات فسمعها وعلامات التفهُم تظهر جليةً على وجهه. قال لعمّار، علينا أن نُساعدهم، سنحمل المُصابين الذي انتهوا من علاجهم وننقلهم لبيوتهم لو كانت سليمة، أو لمجموعة البيوت الموجودة هنا على أطراف القرية.

وبالفعل انهمَك حلمي وعمّار في أداء المطلوب منهم، في البداية يحيون المُصاب ويسألونه عن مكان بيته، يرسلون أحد سُكّان القرية إلى المكان ليرى حالته، لو كان سليمًا أو على الأقل في حالة تصلُح، يعود من فوره ليخبرهم فينقلون المُصاب وعائلته إلى الكوخ. وإن كان البيت مُهدمًا أو في حالة لا تصلُح. يُخبرهم فيجدون له ولعائلته غُرفة في أحد البيوت الموجودة على أطراف القرية.

حين هدأ الجميع وقلّت الأعداد الموجودة، كانت الساعة الآن في حدود التاسعة صباحًا. ومع كِبَر سن الشيخ وتدهور حالته الصحية شعر أنه بحاجة لبعض الراحة، وقف في مُنتصف القرية، بين المنازل وهو يقول بأعلى صوتٍ مُمكِن: «يا أهل القرية الكِرام، لا تخافوا ولا تخشوا شيئًا، فنحن سنسهر على حمايتكُم الليلة وكُل ليلة. وكما نجح هؤلاء الرجال في صد عمالقة الظلال، سينجحون في ردع





أي قوى شر أخرى تحاول دخول قريتنا، لا تخافوا، فرجالنا أسود وغريبنا ليث، قلوبهم كقلوب السباع بل أشد جرأةً. لا يخشون شيئًا. ناموا وارتاحوا، واتركوهم ليرتاحوا، ففي الليل أمامهم معركة أخرى لا نعرف كُنهها بعد. ومن منكُم أراد التطوّع لمُساعدتنا ليلًا، فعليه أن يأتي لكوخي قبل الغروب... هيا ارتاحوا ففي الليل باب آخر سيُفتَح، ويعلم اللّه وحده ما يختبئ خلفه»

تفرق الجميع من حوله، كُلًا منهم ذهب في اتجاه، عادوا لبيوتهم ولأعمالهم. أمامهم نهار طويل في محاولة إعادة القرية لما كانت عليه بدلًا مما آلت إليه. منهم من سيحاول حمل الأخشاب المُهدمة خارج القرية، ومنهم الذي سينهمك في محاولة بناء جدران جديدة، اختلفت المهام لكن الهدف كان واحداً، محاولة العودة بالقرية لأقرب شكل مُمكِن لتعود لسابق عهدها.

كان تكاتف أهل القرية مُذهلًا، بإمكانك دومًا صُنع المُعقول لو كُنت فرداً واحداً، وبإمكانكما دوما فعل اللا معقول لو كُنتما شخصان، لكن المُستحيل لن تنفذوه أبداً إلا إذا تكاتفتم واحداً بجوار الآخر. حينئذ ستحققون المُستحيل.

وبالفعل، مع اقتراب عصر اليوم كانت القرية قد عادت لعهدها السابق. بالطبع علينا أن نتغاضى





عن بعض الأكواخ المُهدّمة وأن نغض البصر عن بعض الأكواخ المُشققة جدرانها.

أخيراً انتهت حسناء والسيد حفني من آخر مرضاهم. استند الرجل وقد كان كهلًا ضعيف الصحة علي حلمي وعمّار الذين ودعا حسناء وتوجها لإعادة الرجل إلى أسرته قبل أن يتوجها للنوم استعداداً لما سيحدُث بعد الغروب. لكن ابتسامة من حلمي، ولمعة عين حسناء أنبئا قلب عمّار أن هُناك شيء ما يعتمِل في قلوبهم، وأن تلك الابتسامة ليست بريئة، ولمعة العين تلك ليست طبيعية، هناك حُب يختمر في تلك القرية، وهو شيء لن يسنح بحدوثه، حسناء له، منذ نعومة أظفارهم وأهل القرية بأكملهم يعلمون هذا. جذب العجوز بعُنف، تأوه وهو ينظر له بلوم، لكن عينا عمّار المليئتان بالغيرة والغضب كانتا مُثبتتين على حلمي الذي كان يعرف أن شيئًا تبدّل في قلب حسناء تجاهه. لكنه لم يكُن يعرف أن شيئًا تبدّل في قلب عمّار تجاهه.





( ٧ )

(أبناء التُراب)

قبل الغروب بساعة واحدة أيقظهم الشيخ. ناموا نومًا عميقًا، بلا حراك، بلا أحلام، بلا أدنى رغبة في الاستيقاظ. قاموا من النوم وهُم يحاولون نفض الكَسَل عن أجسادهم وصرف آثار النوم عن عيونهم النعِسة. كانت رائحة الطعام الشهي الشيء الوحيد الذي دفعهم للقيام من أسرتهم. مطوا أجسادهم بكسل، لا تزال عضلاتهم تأن ألمًا بسبب المجهود الذي بذلوه في معركة الأمس، لكن انقباضات معداتهم وحركاتها هي من كان يقودهم الآن. تحركوا نحو الرائحة وهُم يتبادلون النظرات، يتبادلون تحيات المساء في كسل. لم يُلاحظ حلمي نظرات عمّار له، لكن الشيخ ونجيب بالتأكيد لاحظوها.

تبادل نجيب والشيخ النظرات للحظة؛ كانت كافية رغم قصرها أن تنقل لكلًا مُنهما قلق الآخر وتوتره من نتيجة تلك النظرات.

كانت فتيات القرية بقيادة حسناء قد ذبحوا خروفًا سمينًا وشووه على الحطب قبل أن يقدموه للرجال الشُجعان تقديرًا لهم وامتنانًا على ما فعلوه





بالأمس. وإحقاقًا للحق. بعد المجهود العضلي والذهبي المبذولين في الليلة الماضية، كان الجميع في أمس الحاجة لهذه الوجبة. جلس ماجد على الأرض وهو يتناول قطعة ضخمة من اللحم ويتناولها بوحشية وجوع. ضحك الشيخ وهو يقول للجميع: «لا يجرؤن أحدكم على مد يده وإلا التهمها ماجد»

شعر ماجد بالإحراج وحاول الاعتذار وهو يمضغ اللقيمة الموجودة في فمه: «عييرًا يا سماعة، أنا تايع للهاية»

ضحك الجميع بشدة على كلماته الغير واضحة وعلى جوعه الهائل الذي منعه حتى من التوقف قليلًا، لكن الجوع كان أقوى من الضحك ومن أي شيء آخر. مدوا أيديهم وبدأوا في الأكل. ورغم كونهم خمسة أشخاص فقط إلا أنهم كادوا يلتهمون الخروف بأكمله. وكان لماجد نصيب الأسد فيهم، جلسوا بكسل وكُلّا منهم يستنِد على أحد الحوائط. مدد ماجد جسده على الأرض وهو يتحسس بطنه المُنتفخ ويقول: «رباه، كُنت جائعا للغاية»

قال الشيخ ضاحكًا: «حمداً للّه، قال كُنت، أي أن الفعل أصبَح ماضيًا»





ضحك الجميع، قال حلمي وهو يبتسِم: «حسنًا، لدينا سلاح جديد نستطيع قهر أي شيء به، وهو جوع ماجد»

ضحك الجميع، حتى ماجد نفسه الذي قال: «اتركوني جائعًا فقط وسأنتصر على أي شيء من أجل رغيف خبز»

ضحكوا جميعًا، وبمُجرد أن هدأ الجميع قال الشيخ وهو يُراقِب الشمس التي تؤول للغروب: «اللهم اجعله خيرًا»

سأله عمّار: «لماذا يا شيخنا؟، لماذا كُلما ضحكنا دعونا أن يجعله اللّه خيرًا، أوليس الضحك خيرًا؟»

أجابه الشيخ بهدوء: «لأننا لسنا في الجنة يا ولدي، نحن في الدنيا، والدنيا غدّارة. يوم لك، وتسعة وعشرون عليك. لا يدوم بها حال، تتفنن دائمًا في إزعاجنا واضجارنا. هذا قدرها وهذا قدرنا. هذا فعلها وعلينا التحمُّل. حين تضحك من قلبك، هذا يوم لك، وعليك بعدها أن تدعو اللّه ألا تبدأ أيامها عليك، لأنك أضعف من أن تواجهها»

أنهى كلماته وهو يقول: «عدة دقائق ويُفتَح باب اللعنات الجديد، هل أنتم مُستعدون؟»





نظروا لبعضهم البعض وهُم يقولون بصوت رجل واحد: «لا»

قال لهم بابتسامة قلقة: «لم أكُن سأقبل بأية إجابة أخرى»

* * *

هذه المرة كان الأمر مُختلفًا، انضم لهم ثلاثة رجال، شحاتة... أحد الرجال الأقوياء، ضخم البنية ذو شنب كثيف يزين شفته العُليا. إبراهيم... شاب سريع الحركة خفيف الوزن، ويحي... رجل سمين بطيء الحركة لكنه قوي وجريء لا يخشى شيئًا. وقد سهلت الأردية الخيشية التي يرتديها الجميع من حركتهم كثيرًا. جلسوا جميعًا أمام الشيخ الذي بدأ يُهيئ الرجال الجُدد لمّا هُم مقبلين عليه ويشحذ همتهم وقواهم.

على صعيد آخر، كان فريق من نساء القرية بقيادة حسناء يطرقون أبواب الجميع ويطلبون منهم ترك القرية والتوجه للأكواخ الموجودة على أطرافها من أجل مزيد من الأمان. استجاب لهم عدد كبير من الناس وتباطئ العديدين في كسل أو تكاسل. هبطت الشمس تمامًا لتختبئ وتترك المُهمة للقمر. حلّ الظلام وصاحبه رفيقه الأزلي، الصمت.

تبقى ثلاث عائلات، لا نعلم تحديداً السبب الذي دفعهم للتأخر، ربما كان السبب الرئيسي هو عدم إدراك قيمة الوقت بالنسبة لهم، لأنهم يواجهون شيئًا غير معروف، وربما كان السبب هو الحظ، لكن إن كان سببهم هو الحظ، فهُم أسوأ المخلوقات حظًا.

لأن الذي حدث كان فوق احتمال عقولهم البشرية وفوق كُل تخيلاتهم وتوقعاتهم.

* * *

تجمعت بعض حبات الغبار فوق بعضها البعض. في البداية كان الأمر غير ملحوظ، لكن حين زادت حبات الغبار وزاد زحفهم سويًا وتجمعهم فوق بعضهم البعض. انتبه أحد الصغار للأمر، ضحك وهو يراقب الأمر، التفتت أمه به وهي تستعد للخروج من البيت وراقبت الغبار الموجود أمامه قبل أن تتجاهل الأمر. لم تنتبه للحركة التي رآه صغيرها، ضحك مرة أخرى وهو يناديها لترى ما يراه، لكن لم تُسعفه لغته لشرح الأمر، كان يناديها فحسب: «ماما... ماما... ماما»

تجاهلته وهي تأمره دون أن تنظر لما يجذب انتباهه: «هيا يا صغيري، دع اللعب في التراب للصباح، هيا نرحل»

لكن الصغير تجاهلها، هي أمه التي يراها كُل يوم ويسمع صوتها كُل ليلة، لكن تحرك الغُبار والتراب بتلك الطريقة هو شيء لم يره من قبل. أخذ يضحك وهو يصفق بيديه الصغيرتين في فرح. تكوّم التراب على شكل حذاء طفل صغير، يبدو أنه كان يستمد صورته من الموجودات أمامه، وبما أنه وجد الطفل بدأ يتكوّن طفلًا من تراب أمام الصغير. يتحرك ببطء وهو لم يكتمِل تكوينه بعد، يتطاير الغبار ببطء بسبب الرياح، لكن عملية التكوين تتم بسُرعة أكبر، وفي خلال دقائق معدودة كان الطفل التُرابي قد تكوّن واكتمَل ووقف أمام الطفل الحقيقي يُراقبه. كان الطفل يُصفق بيديه فرحًا، حاول الطفل الترابي أن يفعل مثله فاصطدمت يديه ببعضهما البعض وسقطتا أرضًا. سُرعان ما تكونت له أيدي غيرهم، حاول مرة أخرى، وتكررت النتيجة ذاتها مرة أخرى، مشى نحو الطفل وهو يراقب يديه البشريتين تصفقان بفرح. كانت أمه لا تزال مشغولة بشيء ما وغير مُنتبهة لما يحدُث.

وبفضول الأطفال اقترب الطفل الترابي من الآخر وهو ينظر له بدهشة. حاول أن يُصفِق بيديه لكنهما تهدمتا مرة أخرى وسقطتا أرضًا. شعر بالغضب وهو يراقب يديه التُرابيتين تكتملان مرة أخرى. اقترب من الطفل البشري أكثر وقرّر أن





يلمسه، عله يعرف الفارق بينهما، لماذا تُصدر يديه صوتًا كُلما صفق، بينما تتهدم يدي الآخر حين يفعلها.

مد طرف إصبعه ولمسه. فجأة بدأ الطفل البشري يتحوّل لطفل ترابي آخر، كان ينظر للتغيرات التي تمُر بجسده الصغير وهو لا يفهم ما يحدث. في البداية اختفت الابتسامة من شفتيه وهو يراقب قدميه اللتين فقد الشعور بهما وهُمّا تتحولان لأقدام ترابية وقبل أن يفهم ما يحدُث أو يُدركه بعقله الصغير. كان على وشك التحوّل لطفل ترابي آخر، أصدر صوت استغاثة مكتومة فزعة قبل أن يكتمِّل تحوله، وهذه المرة سمعتها أمه، وبقلبها الممتلئ بالأمومة شعرت أن هناك شيئًا غريبًا يحدُث.

عندما التفتت فوجئت بطفلين ترابيين يجلسان خلفها. شهقت في فزع وهي تبحث عن ابنها، لربما كان هو من كوّن تلك الأشكال، لطالما كان ذكيًا، لكنها لم تجده في أي مكان... صرخت صرخة ملتاعة سمعها كُل مرة في القرية. كان الأقرب لها حلمي، جرى نحوها وهو يحاول أن يُهدئ من روعها ليفهم ما حدث. كانت تتحدث عن طفلها الذي اختفى وعن أطفال من تُراب صنعهم قبل أن يختفي، لم يفهم حلمي المقصود بمُصطلح أطفال التُراب، طلب منها أن تُريه ما تقصُد، قادته





حتى الطفلين التُرابيين، لكن حين وصلا، بدأ أحدهما يتحرّك.

كان الطفل التُرابي المُتحرك غاضبًا لسبب لم تعمله الأم أو حلمي. اقترب من الطفل التُرابي الآخر، كان الآخر هشًا رقيقًا، لطمه بيده فتهدّم أرضًا، شهقت الأم مرة أخرى. حينها التفت لهما الطفل التُرابي المُتحرِّك، بدأ يقترب منهم ببطء. عكست ملامحه التُرابية الغضب، تراجع حلمي أمام غضبه وهو لا يعرف ما الذي من المُفترض أن يحدُث. بينما تسمرّت الأم مكانها، كان الدم قد تجمّد في عروقها، وقشعريرة خوف باردة تسري في عمودها الفقري، انتصب الشعر الموجود في مؤخرة عنق حلمي، كان جهاز إنذار طبيعي أنذره أن شيئًا غير طبيعي سيحدُث.

اقترب الطفل من الأم للغاية، حاولت أن تتحرّك لكن السيف كان قد سبق العزل. مد الطفل يده نحوها بفضول، راقبت يده بهلع، كاد يلمسها، امتلأت عينيها برُعب هائل، لمسها وهو يبتسِم. صرخت وهي تشعُر بملمس يده التُرابية، لكن الذي حدث أمام عيني حلمي كان أمرًا لا يُصدَّق.

بدأ التُراب يحل محل جسدها بسُرعة غير عادية. صرخت بشدة، لكن الأمر لم يتوقّف، بدأت تتحوّل لامرأة تُرابية بسُرعة شديدة أمام عيني حلمي،




وابتسامة الطفل الراضية للغاية. حاولت أن تتحرّك، أن تقاوّم، أن تستنجد بحلمي، لكنها لم تقدر. بسُرعة مُخيفة كانت قد تحولت لامرأة تُرابية بالكامل، بُمجرد اكتمال عملية التحوّل، لطمها الطفل بكفه، تهدّم جسدها بالكامل. ما تبقي منها الآن كان مُجرد كومة من التُراب، نظر الطفل نحو حلمي وملامحه التُرابية تعكس ابتسامة شر خالصة، أدار حلمي ظهره وجري نحو القرية، نحو زملائه، نحو سُكّانها.. جري نحوهم ليكون رسول شؤم لهم ويُنبئهم بحضور أبناء التُراب.

* * *

وقف حلمي أمامهم يحاول أن ينقِل لهُم ما رأى. لكن خوفه وطريقة كلامه المليئة بالتسرُع وصوته المُرتعش، جعلوا الأمر يبدو شبه مُستحيل تقريبًا. كُل ما فهموه هو أن أبناء التُراب هي اللعنة الجديدة الناتجة عن فتح باب اللعنات.

لكنهم لم يفهموا أي شيء، ابتلع حلمي ريقه بصعوبة واتسعت عيناه هلعًا وهو يشير خلفهم بإصبع مُرتعش. نظر الجميع خلفهم ببطء وخوف. لاحظوا تيارات تُرابية تتحرّك فوق الأرض في اتجاهات مُختلفة. كُل تيار يتجمّع في مكانٍ ما مكونة كومة تُرابية سُرعان ما تتشكّل على هيئة أطفال صغار. ورغم أنهم غير مُكتملي التكوين إلا أن التُراب





سّرعان ما يتجمّع ليُكمِل تكوينهم. وقف أبناء التُراب يتأملونهم قبل أن يبدؤون تقدمهم نحوهم ببطء. صرخ نجيب فيهم: «إبراهيم، يحيي ... عليكُما إخلاء القرية الآن، عودا بالجميع نحو أطراف القرية. على أحدكما أن يظل هناك ليحميهم من أي طفل تُرابي يتكوّن هُناك، شحاتة... أنت ستكون معنا.»

أطاع الثُنائي الأمر، بدآ بحشد المُتبقين في القرية وسُرعان ما كانوا يقودون تجمُعًا صغيرًا يضج بالخوف نحو بيت الشيخ والبيوت المجاورة له. وقف حلمي والباقون أمام أبناء التُراب الذين يقتربون منهم. كان أول من تحرّك هو شحاتة، الذي كان يُمسِك بيده عصا ضخمة. بدأ يضرب بها أبناء التُراب بوحشية، شقت عصاه أحدهم من المُنتصف ليسقُط أرضًا على شكل كومة تُرابية. حين رآه تشجّع وبدأ يضرب الباقين بعصاه. تساقطوا واحداً تلو الآخر، انتهي منهم ووقف وسط كومات التُراب يتنفس بصعوبة وهو مُستند إلي عصاه لكنه كان مُبتسمًا حقًا، فخورًا بنفسه وبمجهوده. يتوسط كومة التُراب الناتجة عن ضحاياه بفخر بالغ، لكن النظرة التي كانت في أعين الباقين لم تكُن نظرة عرفان بالجميل أو حتى سعادة. كانت نظرة غريبة، تحمل مزيجًا من الصدمة والخوف. بدأ ينتبه لما





يحدُث حوله، كومات التُراب تتجمّع وتتشكّل مرة أخرى لتكون أبناء التُراب، كأن شيئًا لم يكُن.

وفي خلال دقائق قليلة كان يقف في مُنتصفهم مرة أخرى. هذه المرة كُلهم كانوا ينظرون له، يتابعونه بغضب. دائرة صغيرة منهم حاصرته وبدأت في تضييق الخناق عليه. رفع عصاه عاليًا وبشجاعة يُحسَد عليها بدأ في قتالهم مرة أخرى. كان شجاعًا لا يهاب شيئًا، قلبه جريء مليء بالقوة، لكنه ينقصه بعض الذكاء. من غير المنطقي أن ينتظر نتائج أخرى لتكرار نفس الفعل، هذا هو تعريف الغباء كما قالوا من قبل.

وللمرة الثانية كان يقف في وسط كومات التراب، هذه المرة كانت علامات الخوف تحل محل علامات الفخر. تنفسه المُتقطع وتعب جسده كانا أقوى من أن يحتمل. استند إلى عصاه بقوة، وهو يراقب تيارات التُراب تقترب منه زحفًا فوق الأرض قبل أن يتكوّن أبناء التُراب مرة أخرى لكن هذه المرة كانوا أقرب إليه من قبل. وهذه المرة كانوا قد تعلموا من المرتين السابقتين، هذه المرة تركوه يطيح بهؤلاء الموجودين أمامه، دون أن ينتبه لمن يقترب منه من الخلف. لم ينتبه لابن التُراب الذي لمسه في غفلة عنه، قفز في مكانه حين شَعَر بلمسته. استدار وضربه بعصاه بقوة، لاحظ الابتسامة الساخرة التي ارتسمت على وجه الطفل قبل أن ينهار أرضًا. لكنه





شعر بشيء آخر، قدماه لا تحملانه، لا يكاد يشعر بهما، نظر للأسفل ورآهما، رآهما تتحولان لتُراب، حينها... وحينها فقط أدرَك حلمي أنه نسي في خضم خوفه أن يُحذرهم من جرّاء التعرض للمس من أبناء التُراب.

«حذار من أن يلمسك، ستتحوّل لتُراب»

أدرك أنه صَرَخ بها مُتأخراً، مُتأخراً للغاية..

* * *

الآن وبعد تحوّل شحاتة لكومة رمال تحت أقدام أبناء التُراب، عرِف الجميع خطورة التعرُض للمساتهم. عرف الجميع أن الأمر ليس هيناً، ليسوا مُجرد تُراب ورمال ستتهدّم حين يضربونها، يتهدمون ويعودون، ويبدو أن الأمر سيستمِر إلى ما لا نهاية.

يجب عليهم أن يجدوا حلًا للأمر، وهذا الحل يجب أن يكون سريعًا. قبل أن تتحوّل القرية بأكملها لكومة تُراب لا فائدة منها، تراجعوا أمام أبناء التُراب، حضر إبراهيم عدواً من طرف القرية وهو يصيح بهم أن الأمور هُناك على ما يُرام. ورغم ذلك فيحيي هُناك يحميهم ويقف على حمايتهم. قال له نجيب دون أن يرفع عينيه عن أقرب أبناء التُراب له: «إبراهيم،





فلتذهب الآن وبأقصى سُرعة لهُناك، بلغهم ألا يمسوهم لو رأوهم، بلغهم أن يبتعدوا عنهم قدر الإمكان، وحين تُبلِغ تلك الرسالة، عُد إلى هُنا، نحن في حاجة إليك»

فورًا ركض إبراهيم مرة أخرى عائدًا إلى أطراف القرية، تركهم مرة أخرى مع أبناء التُراب الذين يقتربون منهم بخطوات بطيئة، انحنى نجيب أرضًا وهو يلتقط حجرًا ويلقيه بقوة نحو واحدًا من أبناء التُراب، اخترقه الحجر وصنع فجوة صغيرة. توقف حتى يستعيد توازنه ويكتمِل مرة أخري قبل أن يتحرك مرة أخرى. كانت تلك الطريقة هي الأفضل لتعطيلهم قليلًا ريثما يجدوا حلًا.

وفورًا صاح بهم نجيب ليفعلوا مثلما فعل، لكن هذا الحل ليس فعالًا بدرجة كبيرة. عليهم أن يجدوا حلًا آخر، عاد إبراهيم مرة أخرى ووقف بعيدًا يُراقب ما يحدُث، حين تُراقب الأمر من الخارج. ترى ما لا يراه المُشاركين فيه، تكون نظرتك أكبر وأشمل. وهكذا لاحظ إبراهيم ما لم يُلاحظه الأربعة رجال، كان أبناء التُراب يحاصرونهم، يُشكلون نصف دائرة تضغط عليهم وتجعلهم يتراجعون أمامها ببطء. إذا استمر الأمر على ما هو عليه، سُرعان ما سيجد الرجال أنفسهم مُحاصرين تمامًا، أبناء التُراب من أمامهم، وجُدران البيوت من خلفهم.





فكّر كثيرًا في الأمر، عليه أن يُساعدهم، لهذا تقدّم وتطوّع. لم يتطوّع من أجل أن يكون عدّاء ينقل الأخبار بين الطرفين فقط، يريد أن يكون له أهمية أكثر من هذا، لكن كيف؟ عليه أن يُفكّر، عليه أن يجد حلًا، عليه أن يجد طريقة يمد بها يد العون لهم، شعر باليأس والإحباط، بصق على الأرض بغضب. كان تلك عادة سيئة يفعلها دومًا، يبصق أرضًا حين يُضايقه شيء. لاحظ أن بصقته جمعت كُتلة تُرابية حولها، وفجأة لمعت فكرة في رأسه، صرخ في نجيب فورًا: «سأعود حالًا»

هز نجيب رأسه دون أن ينظر له، كان يُراقبهم وهُم يقتربون. يشعُر باقتراب المنازل والأكواخ من خلفهم، يشعر بالفخ، لكنه لا يراه بعد، استمروا في التراجع للخلف، حين اصطدم ظهره بجدار، فَهِم الأمر، أدرك ما يحدُث. لكن للأسف الشديد، أدرك هذا بعد فوات الآوان.

اقتربوا منهم للغاية، أيديهم ممدودة أمامهم، ظهورهم للحوائط، يحاولون الفرار بيأس، لكنهم لا يجرؤون على المُخاطرة، لا يجرؤون على التحرُك خشية التعرُض للمسة طائشة. هي لمسة... كُل ما يحتاجه الأمر هو مُجرد لمسة فقط.

أغلقوا أعينهم، قال حلمي بصوتٍ مُرتعش: «أنا آسف يا رفاق، أنا السبب في كُل ما يحدُث»





صاح به نجيب: «اخرس، ركّز قليلًا، علينا أن نجد حلًا»

لم تمُر سوى بضعة ثوان فحسب، وجاءهم الحل فورًا، كان إبراهيم وبصُحبته يحيي وبعض آخرين من القرية. حسناء وعفاف ورضوان وآخرين يقفون أمامهم، كلًا منهم يُمسِك بيده دلوًا أو إناءً مليئًا بالماء، ألقاه بعُنف على أقرب أبناء التُراب له، كان الطفل يكاد يمس ماجد. غمره الماء ليحوله لكُتلة طينية، حاول أن يتكوّن مرة أخرى، لكنه لم يقدر. صاح الجميع وهُم يرون الطريقة والحل الذي وجده إبراهيم ينجح أمام أعينهم.

وفورًا بدأ الجميع في رش المياه في كُل مكان، في البقع الجافة استمر أبناء التُراب من التكوّن. هذه المرة عرفوا أنهم لو اقتربوا سيتحولون لطين، كان عليهم البحث عن طريقة أخرى، وبالفعل وجدوها، في غفلة من حلمي الذي وقف يُراقِب أهل القرية يغرقون أرضها التُرابية بالماء، اقتربوا منه ببطء من خلفه، شعر بهم في اللحظة الأخيرة. التفت وهو يُسرِع بعيدًا عن أيديهم، طاردوه، حاصروه في ركن قريب، استغاث وصرخ.. لاحظه الجميع، لكن حظه كان سيئًا، نفد الماء وذهب البعض لإعادة ملء الآنية. كان عمّار هو الأقرب له، استغاث به، فابتسم الأخير بسُخرية وهو يُراقِب أبناء التُراب يكادون يلمسونه، لم يُنقذه سوى وصول أحد الصبية بإناء ماء. وفورًا ودون أدنى تردُد حملته حسناء وألقته





عليهم، حلوتهم بكُتل طينية ثقيلة وأنقذت حياة حلمي.

ابتسم لها حلمي بامتنان، فابتسمت له بخجل جعل قلبه ينتفض وهي تنظُر أرضًا في خجل. هذه المرة لاحظ حلمي نظرات حلمي، لاحظ نظرته الساخرة حين استغاث به، لاحظ تباطؤه عن إنقاذه رغم أنه كان يقدر وبمُنتهى السهولة. ولاحظ أنه استشاط غضبًا حين اندلعت الشرارة المُميزة بين حلمي وحسناء.

بعد لحظات كانت أرض القرية تحولت لمُستنقع طيني قبيح، لكنه آمن على الأقل. كان السُكّان يبتسمون وهُم يربتون على أكتاف بعضهم البعض، ماجد ونجيب يحتضنان إبراهيم ويُهنئانه على حُسن تفكيره وذكائه.

أسرتان فقط كانا يبكيان، أسرة شحاتة، والزوج المكلوم الذي فقد زوجته وابنه ضحيةً لأبناء التُراب.

نظر حلمي للشيخ الذي كان يقف مُبتسمًا خلف الجميع، أشار للسماء الذي تُشير لهم أن الشمس على وشك الشروق وهو يقول بإرهاق: «وها قد نجحنا في إغلاق الباب الثاني من أبواب اللعنات..»





(٨)

(المزيد من الخسائر)

هذه المرة عمّ الحُزن على الجميع، هذه المرة كانت الخسائر بشرية. فقدوا ثلاثة من سُكّان القرية. شحاتة الشُجاع الذي وقف ليُحارب كائنات يراها للمرة الأولي ولم يخشى شيء أو يتراجع أو يهرب. مات رجلًا واقفًا على قدميه، وسيدة وابنها رامي الصغير. راحا ضحية لأبناء التُراب لكن تضحيتهم لم تذهب هدرا، بل إنها نبهت الجميع للخطر المُحدق الذي يحيط بهم. نبهتم لخطورة أبناء التُراب وكيفية هجومهم. وبالتالي قادتهم تلك التضحية للحفاظ على المزيد من الأرواح البشرية وبالتالي قادتهم للوصول لكيفية التغلُب على اللعنة وكيفية إغلاق باب اللعنات الثاني.

سيطر الصمت على الجميع، إلا من صوت نهنهات أبٍ مكلوم يبكي ولده وزوجته ويحاول الشيخ تهدئته. بينما كانت أسرة شحاتة رغم حُزنها وألمها على فقيدها إلا أنهم منعوا دموعهم وحبسوا الحزن داخل صدورهم ووقفوا وسط الجميع يفتخرون بفقيدهم الشهيد، الذي مات مُدافعًا عن أرضه وقريته، مُفتخرين ببطلهم الهُمَام.





لكن موقف أسرت إبراهيم ويحيي كان مُختلفاً، منعتهم عائلاتهم من مواصلة القتال جنباً إلى جنب مع باقي الرجال خوفًا عليهم.

كان حلمي يجلس جانبًا مُختليًا بنفسه. وعلامات الحُزن تُغطي ملامحه ويشعُر بمرارة الضيق في مؤخرة حلقه. سمع صوتها من خلفه، وكأن الدنيا زادت بهاءا وازدادت ألوانها ضياءا حين تحدثت. كانت حسناء تقف بجواره تحمل كوبًا من الأعشاب الممتزجة ببعضها البعض في مزيج أخضر مُقرِف، أعطته له وهي تقول: «تناوله بأكمله حتى تستعيد توازنك وقواك، لا ندري متى ستنتهي تلك اللعنة»

أمسك الكوب وهو يغرق في بحار عينيها، ورغم أنه سباح ماهر إلا أنه اختار وقتها وبكامل إرادته الحُرة أن يغرق بين موجات حُسنها، شكرها بتمتمة خافتة. لكن يبدو أن مشاعره المُختلجة بداخله غلبته، دمعت عيناه وهو يتحدث. نظر للأرض فوراً محاولًا إخفاء حُزنه، لمست ذقنه وهي ترفع رأسه للأعلى وتسأله بلين: «ما بِك؟»

ما به؟

به الكثير والكثير والكثير.





لمستها اختطفته من مكانه، عبرت به بحار ومحيطات، قادته إلى مكان أشبه بالجنة، حُسنه جمالها وروعته بسمتها، هي أميرتهما، أميرة المكان وأميرة قلبه. في بحور عينيها العديد من الأسرار وفي نبض قلبها المزيد من الفرح. يمني نفسه بألا يكون بحلم، بألا يكون يتخيّل، للمرة الأولى يريد أن يحمِد ربه على هذه المحنة وهذا الابتلاء، للمرة الأولي يكاد يصرخ بها. سُبحانك يا رب، قُدتني لهذا المكان الغريب من أجل أن أراها، من أجل أن تتزين دنياي ببهائها. اللهم ارزقني خير ضحكتها وأوشم روحي بسعادة لقياها، يا رباه، حُسنها يزيد الـ...

«حلمي، حلمي، هل أنت بخير؟»

كانت تسأله لأنه على ما يبدو أطال النظر إلي وجهها وعلى وجهه أعتى علامات الغباء، شعر بالإرهاق وهو يعتذر منها: «آسف، أنا مُرهَق بعض الشيء»

ابتسمت بلُطف، كان تفهم معنى صمته وإطالته للنظر في وجهها، لكنها تظاهرت بعدم الفهم وهي تُكرّر سؤالها: «ما بِك؟»

«أنا السبب في كُل ما يحدُث، منذ دخولي عليكُم وأنا أسبب الكوارث وأتسبب في المشاكل، والآن





ثلاث حالات وفاة بسببي، هذا بخلاف الأب الذي حرمته من زوجته وابنه بمُجرد دخولي للقرية»

ابتسمت وهي تقول: «هوِّن عليك يا حلمي، اللعنة واضحة، غريب سيفتح الباب وغريب سيُغلقه، والموت مقدّر ومكتوب، كُل من مات كان سيموت في نفس اللحظة والدقيقة بوجودك أو بعدم وجودك، عليك أن تهدأ قليلًا، كُل مقدّر سيحدُث، وكُل مكتوب سيتم»

«لكن كان من المُمكِن أن يفتح باب اللعنات أي غريب، لماذا أنا تحديداً؟»

«في سؤالك أنانية، ما حدث قد حدث. عليكَ أن تنسى كُل شيء، ضع كامل تركيزك في شيء واحد فقط، أن تُغلق باب اللعنات..»

صمت قليلًا قبل أن يقول: «لديّ سؤال واحد، كيف أتيت إلى هُنا؟»

«استيقظنا ليلًا على صوت حركة غريبة في القرية، وجدناك مُلقى على وجهك. جسدك كان مُصاباً، كُنت فاقداً للوعي غير دارٍ بكُل ما يحدُث حولك. في البداية حاول السيد حفني نجدتك، لكننا أدركنا أنك غريب وأن وجودك سيفتح علينا باب اللعنات. حاولنا طردك خارج القرية لكن الشيخ نبهنا أن ما





حدث قد حدث، وأن طردك خارج القرية لا فائدة منه، أنت دخلت القرية وبدخولك فُتِح باب اللعنات»

«لكن ما الذي أتى بي إلى هُنا؟»

«أما هذا فلا علم لي به يا حلمي»

رباه، لكم تمني أن تُصبِح الياء الموجودة في نهاية اسمه ياء ملكية خاصة بها. تمنى من كُل قلبه لو كان في هذه اللحظة حلمها وليس حلمي.

اقترب منهم الشيخ وهو يبتسم. شعرت حسناء بالحرج، تناولت الكوب الفارغ من يد حلمي واستأذنت الشيخ ورحلت. تابع حلمي خطواتها ومشيتها الرقيقة بعينيه قبل أن يُدرِك أنه يقف بين يدي الشيخ، نظر له مُبتسماً وهو يتجاهل ابتسامة الشيخ التي تنبئ عن فهمه لما يحدُث قبل أن يقول له: «مرحبًا بك يا شيخنا الجليل»

«مرحبًا بك يا ولدي، سأدخُل في الموضوع مُباشرةً، أبلغني نجيب بتصرُف عمّار اليوم، وهو أمر لا يجب التهاون فيه، كاد عمّار أن يسمح لغضبه أن يتسبب في موتك، وهذا نوع من أنواع الخيانة ولا يجب ان يمُر الأمر مرور الكِرام»

«ولكن لماذا يغضب مني عمّار، لم أفعل ما يُغضبه»





«بل فعلت، وأنت تعلم وأنا أعلم، وحسناء أيضًا تعلم ما أقصد»

شعر حلمي بالخجل وهو يفهم تلميح الشيخ جيدًا، قال الشيخ مُستكملًا حديثه: «تشاورت مع بعض الحُكماء، وقرروا أننا أمام خيارين، الأول هو توجيه تحذير شديد اللهجة لعمّار أمام سُكّان القرية جميعًا ليعرفوا أن بينهم رجل لا يصون الأمانة، أو نفيه خارج القرية»

«لكن، أنا تسببت في العديد من الخسائر منذ حضرت إلى القرية، تسبب في حالات نفي، تضحيات، قتل، موت ودمار، أيًا من الخيارين سيكون له نتيجة سيئة عليّ وعلى وجودي بينكُم»

«إذًا ماذا سنفعل؟»

«أنا أرجح أن نعطيه فرصة ثانية، مع وجود ماجد دومًا بالقرب مني أنا ونجيب كيلا يتسبب عمّار في قتل أحدنا، بمعنى آخر، سيكون ماجد درع حماية لا يعرف عمّار بوجوده»

«ونعم القرار يا ولدي»

«شكرًا لك يا سيدي»





«عليك أن تحظى بقليل من النوم، فلا نعرف أي باب سيُفتَح علينا بالغد»





(٩)

(خلقوا من كوابيس)

كالعادة استيقظ حلمي بصُحبة رفاقه قبيل غروب الشمس بساعات قليلة. الجوع ينهش بطونهم والكسل يسيطر على عقولهم والألم يحتل أجسادهم. قاموا بكسل حتى غُرفة الطعام، تبادلوا التحيات. لكن تحية عمّار لحلمي كانت مُقتضبة وردها الأخير ببرود. لاحظ ماجد ما يحدُث وتذكّر كلمات ووصايا الشيخ له، كان نجيب قد لاحظ الأمر بدوره لكنه رفض أن يتدخل فيما لا يعنيه خوفًا من أن يسمع ما لا يُرضيه.

كان الطعام في انتظارهم. أرز مطبوخ بالأعشاب، بضع دجاجات مُحمرة، وسلطة خضراء شهية الشكل، جلسوا يأكلون بصمت بفعل التعب. هذه المرة كان هُناك شيء مُختلف، النظرات التي يتبادلها حلمي مع حسناء لفتت نظر الجميع. لم يعُد عمّار فحسب هو من يُلاحظها، لاحظها الجميع الآن، حلمي مُبتسماً وهو ينظر لها بلُطف، وهي خجلي حمراء الوجنتين تنظر أرضًا.

سعل الشيخ وهو ينظر لحلمي نظرة ذات مغزى. فهمها حلمي فنظر في طبقه. وفهمتها حسناء





فخرجت من الغُرفة وتركت بقية البنات يقومون ببقية الأعمال. أنهى الجميع طعامهم في صمت. طلب منهم الشيخ أن ينهوا طعامهم بالكامل ومن ثم يتجهوا لغُرفة المعيشة لأنه يريد أن يتكلّم معهم قليلًا. وبالفعل أنهوا طعامهم وغسلوا أيديهم ودلفوا لغُرفة المعيشة واحداً تلو الآخر. كان الشيخ في انتظارهم، ملامحه جامدة جادة، تبدو عليه علامات التركيز، أيقن الجميع أنه هناك شيء ما يحدُث.

أمر الشيخ إحدى الفتيات بتجهيز مشروب من الأعشاب الساخنة للجميع. وبمُجرد أن خرجت من الغُرفة قال: «هل تذكرون الأب الذي رفض أن يُضحي بابنه في البداية، وحين لجأنا لحلمي قرر حلمي أن يُقدِّم الرضيع تضحية من أجل استمرار القوانين؟»

هزوا جميعًا رؤوسهم، تجاهل الشيخ نظرة الألم التي ظهرت في عيني حلمي وهو يقول: «كما رأيتم جميعًا، لم تتحمَّل الأم ما حدث، وماتت كمداً على ولدها خلال لحظات، والأب اعترَض على ما حدث، وهاج وماج، وانتهى الأمر بنفيه خارج حدود قريتنا»

هزوا رؤوسهم بأسى وسمعوا عمّار يهمِس بصوتٍ خافت: «البركة في السيد حلمي طبعًا»





رمقه الشيخ بنظرة نارية فتظاهر بتأمل الأرض تحت قدميه، قال الشيخ: «وأيضاً أظن أنكُم تعرفون جيداً معنى النفي خارج حدود القرية، سبق ورأينا نتيجة هذا الأمر كما كُنت أحكي لحلمي من قبل»

صمت لحظة ليترك لهم مساحة ليتخيلوا جميعًا شكل جُثة ابنة الكهل وزوجها حين وجدوا جُثثهم في الغابة المُحيطة بالقرية، رأوها جميعًا باستثناء حلمي الذي سمِع فحسب أن الأمر كان كأن دُبًا هاجمهما، لكنه لم ير الجُثتين وبالتالي لا يتخيّل شكلهما.

كان الشيخ مُتحدثًا بارعًا، يعرف متى يتحدث، ومتى يصمُت، يعرف كيف يجذب انتباه مُستمعيه، حين شعر أنه أعطاهم الوقت الكافي لتخيُّل ما حدث عاد ليستكمل حديثه: «الغريب أن هذا الرجل اختفى، كأنما تبخّر تمامًا، لا أثر له في الغابة، لا جُثة ولا آثار أقدام ولا دماء، لا شيء»

قال ماجد: «ربما اختطفه هذا الشيء الذي يقتل الناس وقاده لمخبأ سري»

قال الشيخ وهو يبتسم نصف ابتسامة: «وجهة نظر صائبة لكنها ليست صحيحة»





كان عمّار يرمق حلمي بنظرات نارية مليئة بالغضب، وحلمي يحاول أن يتجاهل نظراته ولا يهتم به، بينما نجيب يُراقب الشيخ بصمت وعقله يعمل بسُرعة محاولًا فهم الأمر أو على الأقل الوصول لأقرب وجهة نظر للمنطق والواقع، تساءل ماجد: «إذاً ما الذي حدث يا شيخ محمود؟»

«لا أعرف تحديداً ما الذي يحدُث، لكنني كونت وجهة نظر أكاد أجزم أنها قريبة جداً من الحقيقة»

نظر لهم جميعًا قبل أن يقول: «من النظرة التي تلتمِع في عيني نجيب، أكاد أجزم أنه كوّن وجهة نظر خاصة به»

هز نجيب رأسه، فسأله الشيخ: «هل أقول وجهة نظري أم تقول وجهة نظرك أولًا؟»

«تحدث أولًا يا شيخنا»

«حسنًا، من تلك المُعطيات التي أخبرتكُم بها، وصلت لنتيجة هامة، هُناك شيء عاقل في تلك الغابة. ليس وحشًا، وليس مسخًا وبالطبع ليس دبًا»

نظر لنجيب الذي ابتسم وهو يقول لهم: «هل تريدون مزيداً من التأكيد؟»





هزوا رؤوسهم بفضول، طبعًا يريدون المزيد من المعلومات ليتأكدوا مما قيل، ابتسم بقلق وهو يقول: «سؤال واحد فقط عليكم أن تجيبوه، نحن نعرف جيداً أن كُل من يخرُج من القرية يموت وبوحشية، لكن... كيف دَخَل حلمي للقرية دون أن يتعرض لمثل هذا الأمر، إذا كان هناك وحش أو مسخ يقتل الخارجين والمنفيين، فلماذا لا يعاقب أيضًا الوافدين؟»

صمتوا جميعًا وهُم ينتبهوا للأمر للمرة الأولى، أكمَل الشيخ الأمر: «هذا يعني أن قدوم حلمي هنا كان برضاهم ورغبتهم»

سأل حلمي بقلق: «لكن... لكن لماذا؟»

«هذا هو السؤال الذي لم أجد له إجابةً حتى الآن، لكننا سنجد إجابته يا ولدي، أعدك أننا سنفعل..»

* * *

غربت الشمس وارتفع القمر. تأخر الوقت وما زال الوضع هادئ للغاية. تبادل الرجال النظرات في قلق، قال ماجد وهو يتثاءب بكسل: «يبدو أن اليوم أجازة»





قال الشيخ بلهجة صارمة: «حذار يا ولدي أن تُرخي أشرعة حذرك، حينها ستُعجِّل بنهايتك»

شعر ماجد بالحرج وهو يقول: «أجل، أعرف هذا، كُنت أمزح فحسب.»

ابتسم الشيخ كيلا يُزيد حرجه، ولأن التثاؤب مُعدي، بدأ الجميع في التثاؤب. بدأ الكسل يتسلل إلى قلوبهم واحداً تلو الآخر، حاولوا بمُنتهى الجدية أن يقاوموه لكنه كان أقوى منهم، خصوصاً مع مرور المزيد من الوقت دون أي شيء مثير يحدُث. في النهاية شعَر الشيخ بتعبهم وكسلهم، خصوصاً وأن اليومين الماضيين، كانا متعبين وعامرين بالأحداث المُرهقة. تغلبت أبوته على حذره في النهاية وهو يقول لهم: «ناموا يا شباب، سأسهر قليلًا إلى جواركم.»

لم يمُر المزيد من الوقت إلا وعلا صوت شخير ماجد. ارتعدت جدران الكوخ. توسّد عمّار يده ونام بهدوء، وبجواره استلقى نجيب، من حركته المتواترة وتقلُّبه الدائم عرف الشيخ أنه قلق، فقط حلمي ظل جالساً شاخص العينين زائغهما وهو ينظر نحو سقف الكوخ، سأله الشيخ: «ما بك يا ولدي؟»

«لقد سببت العديد من المصائب منذ قدومي، كانت قريتكم هادئة وأموركم مُستقرة قبل





وصولي»

«لا تقلق يا ولدي، كان الأمر سيحدث سيحدث، انظر للأمر بطريقة إيجابية، من حُسن حظنا أنك الغريب الذي فَتَح باب اللعنات، لأننا وبمُساعدتك نجحنا في الانتصار مرتين، وأغلقنا بابين من أبواب اللعنات»

قال حلمي بفضول: «هناك شيء آخر يقض مضاجعي، سؤال هام يلح عليّ، أنتم تعرفون أن العالم يتطوّر من حولكم. لماذا لم يسألني أحد عن الأوضاع خارج قريتكم، ألا تريدون أن تعرفوا كيف تطوّر العالم بدونكم؟»

أجابه الشيخ: «قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم). إذا عرف أهل القرية ما الذي يحدُث بالخارج، إذا عرفوا عن التطوّر الموجود بالخارج، والذي بالطبع جعل الأمور أسهل وأبسط. سيقررون الخروج، وأنت بالطبع تعرف، إذا رآهم الناس الآن، ماذا سيفعلون، سيعاملونهم مثل الحيوانات. سيضعونهم في أقفاص وزنازين، سيعاملونهم كأنهم أشياء وليسوا بشر. هذا بفرض طبعًا أن سُكّان قريتنا استطاعوا التغلُّب على الصدمة الحضارية التي سيصابون بها»





أجابه حلمي: «لكن هذا الأمر سهل التغلُّب عليه، من المُمكِن أن تتبنى حالتهم إحدى المؤسسات الخيرية وتخضعهم لبرنامج تأهيل، في نهايته سيخرجون للعالم كأنهم أبناء اليوم»

تحولت ملامح الشيخ للحُزن وهو يقول: «هُناك سبب آخر يا ولدي..»

ظهرت علامات الدهشة على ملامح حلمي وهو يقول: «وما هو؟»

«ليس كُل ما يٌعرف يٌقَال، ليس كُل ما يٌعرف يُقَال يا ولدي»

بمٌجرد أن أنهى الشيخ جُملته سمعوا جلبة وضوضاء في الخارج، نظرا لبعضهم البعض في قلق. انتصب نجيب في مكانه وهو يبادلهم النظرات، كاد يوقظ ماجد وعمّار لكن إشارة من الشيخ جعلته يعود عن قراره.

مشى حلمي نحو الباب وفتحه قبل أن يقف وعلى وجهه أعتى علامات الدهشة والذهول، ما يراه الآن من المُستحيل أن يكون حقيقيًا.

* * *





كانت شوارع القرية مُزدحمة، بها العديد من الأشياء الغريبة، مخلوقات غريبة الشكل مُخيفة الهيئة تسبح في ظلام القرية. أسماك ضخمة غريبة الشكل تسبح في الهواء، مسوخ تقف أمام أحد البيوت وتتراقص رقصة شيطانية، أطفال صغار بلا رؤوس يمشون بلا هدى وأيديهم ممدودة أمامهم. حيوانات غريبة الهيئة مشوهة تجري خلف بعضها البعض، همَس حلمي بخوف: «ما هذا الجنون؟»

وقف الشيخ خلفه وهو يتأمل الزحام الذي حلّ على القرية. كانت عيناه مُعلقتين بعملاق مفتول العضلات يحمل وجه كلب أو ذئب، حيوان ما لم يتبينه في الظلام. كان العملاق يجلس القرفصاء على الأرض وهو يزمجر في وحشية غريبة يغلب عليها الحُزن، غير بعيد عنه باب مفتوح تدخُل منه بعض ألسنة اللهب التي تُقرقع في عنف.

نظر حلمي للشيخ بخوف وهو يقول: «ما هذا؟»

تبادل الشيخ النظرات مع نجيب وهو يقول: «هل فُتحَت كُل أبواب الجحيم مرةً واحدة؟»

قال نجيب ببطء وهو يحول استيعاب ما يحدُث: «هذا... غير... معقول»





ما زال الجنون يزداد في الخارج، كأن بوابات الجحيم مفتوحة، ويبدو إن ميعاد إغلاقها لم يتحدّد بعد. دجاج ضخم بعض الشيء ينفث النيران من فتحتي تنفسه، رجل خفي يظهر حين يصطدم ببعض الموجودين فقط. بخلاف هذا هو خفي تمامًا. سحب نارية تُمطر دمًا، وبحيرات بلا قاع يسبح بها وحش غريب الشكل. أيدٍ مُتحللة تظهر من تحت الأراضي فجأة لتجذب الباقيين محاولين جذبهم تحت الأرض.

قال الشيخ وهو يتابع تزايد تلك الأشياء الغريبة بالخارج: «علينا أن نوقظ عمّار وماجد أولًا، عليهم أن يروا تلك الأشياء الغريبة»

دخل نجيب داخل البيت لينفذ أمر الشيخ، هزّ ماجد وعمّار بقوة، لكن النوم كان يأسرهما... لم يستيقظا وكأنهما لا يشعران به من الأساس، حاول مرة تلو الأخرى، لكنهما لم يستجيبان له. حاول مرة أخيرة قبل أن يخرج للشيخ وعلامات الارتباك تبدو عليه، نظرته كانت كافية ليعرف الجميع أن شيئًا خاطئا، يحدُث لكنه قرر أن يُبلغهم بالرسالة بطريقة أخرى، كي يضمن أنهم فهما ما سيقول، قال بهدوء يشوبه بعض الفزع: «ماجد وعمّار يرفضان الاستيقاظ.»

ابتلع الشيخ ريقه بصعوبة وهو يقول: «كُنت أتوقع هذا، المصائب لا تأتي فرادى»





نظر حلمي للشيخ وهو يقول: «لا أقصد الإهانة لكننا نحتاجهما جداً، يا شيخنا العزيز وسامحني حين أقول أنك لن تصمد في تلك المعركة طويلًا»

قال الشيخ بتأثر: «للسن أحكام يا ولدي»

نظر له حلمي بأسف حقيقي وهو يقول: «أنا آسف»

«لا عليك يا ولدي، تلك هي الحقيقة»

نظر حلمي إلى جسد نجيب النحيل القصير وهو يقول: «وأنت يا نجيب، رغم شجاعتك وقوتك، لكنك في القتال وخصيصاً مع تلك المخلوقات لن تصمُد طويلًا»

«أعرف هذا، أعرف أن ثلاثة أرباع قوتي في عقلي فقط، لكن عليك ألا تستهين بهذا العقل»

نظر له الشيخ سريعًا وهو يقول: «هل وجدت طريقة للتغلُب على هذه اللعنة؟»

هز نجيب رأسه والذكاء يلتمِع في عينيه: «لا، ولكنني وجدت طريقة لإيقاظ الجُثتين النائمتين في الداخل»

قالها وهو يشير بعينيه نحو أحد الممسوخ الذي ظهر من بعيد، جُثة امرأة نحيلة مُتحللة، يظهر





حول جسدها كفن قديم مُهترئ، وفي جسدها آلاف الأشواك الهائلة، تبرز منها في كُل مكان، آلاف الأشواك بلا أدنى مُبالغة. قال نجيب وهو يفكّر: «علينا أولًا أن نجد طريقة لاستدراج ذات الأشواك من وسطهم، ثم سيكون علينا أن نجد طريقة للتغلُب عليها، وبعد ذلك سأستطيع أن أوقظهما»

قال حلمي بنفاذ صبر: «فعلًا؟، تلك هي خطتك يا نجيب؟، أن نستدرج ذات الأشواك من وسط الجميع دون باقي المسوخ، وهي طبعًا ستطيعنا دون نقاش. وباقي المسوخ ستُصاب بعمى مؤقت ولن ترانا أو تراها وهي تقترب منا، وبعد ذلك ستجلس معنا هنا على تلك الأريكة، وسنفكر جميعًا في طريقة للتغلب عليها، وهي طبعًا مسخ مؤدب وسينتظر.. بعد ذلك سنتغلب عليها ثم ستقوم بإيقاظ هؤلاء النائمين!»

سأله نجيب بغضب: «هل لديك خطة أخرى؟»

«لا»

«إذا هيا بنا ننفذ خطتي»

«حسنًا، هيا بنا»

* * *





بخطوات مُرتعشة مشى نجيب وسط المسوخ المشغولة كُلٍ في أمر. ابتلع ريقه بصعوبة، تكاد دقات قلبه تفضحه وسط المسوخ، تجمّد الدم في عروقه وهو يقترب من ذات الأشواك. كلما شَعر بأحدهم يلتفت نحوه أو حتى ينظُر إليه، يُغلق عينيه وهو يدعو اللّه في سره أن تمُر الأمور على ما يُرام، كان هو صاحب الفكرة، وبالتالي أجبروه على البدء في أولى خطوات تنفيذها، اقترَب منها ببطء، مازالت مشغولة بالتحديق نحو أحد البيوت والمشي بشكل عشوائي.

فكّر في الاقتراب منها ولمسها، وحين تنتبه له سيبدأ في التحرُك بخطوات سريعة نحو بيت الشيخ، ينتظره هُناك حلمي والشيخ، ماذا سيفعلون هناك؟ لا يعرف، حقًا لا يعرف، لكن عليه أن يُنهي الجزء الأول من خطته أولًا قبل أن يُفكِّر في الجزء الثاني، لكن فكرة اللمس لم تكُن فكرة صائبة، نظر للأشواك التي تخرُج من جسدها. لا يعرف حقًا هل هي آمنة أم لا، ولا ينوي المُجازفة خصوصًا وهو لا يعرف ماهيتها أو قدرتها، عليه أن يجد وسيلة أخرى، وقف وسط المسوخ يُفكّر، عليه أن يجد حلًا سريعًا.

بدأ يُفكّر، وكما تعوّد، كان عليه التفكير في الأشياء المُحيطة به، بالطبع يحيط به مسوخ غريبة من كُل مكان، لن يُجازف بلمسها. الجوال الخيشي الذي





يريده لن ينفعه في شيء، عليه أن يجد حلًا آخر. هرش رأسه في توتُر، عاد للخلف سريعًا كي يعبُر من أمامه مُهرج يحمِل حقيبة مليئة بأدوات التعذيب، هذا المُهرج سيُصبِح كابوس شخصًا آخر، لكن هذا ليس موضوعنا، أثناء تراجعه داس حصاة صغيرة بقدمه، وفورًا أرسلت قدمه لعقله إشارة، كان من المُفترض أن يُترجمها عقله على شكل نبضة ألم لكن لأنه نجيب ولأن عقله حاد الذكاء، عرِّف أن تلك الحصاة هي وسيلته لحل جُزء المُشكلة الأولى.

انحنى ببُطء وهو يُمسِك الحصاة ويقف مرة أخرى. ألقى الحصاة على ذات الأشواك، ورغم أن يده كانت ترتعد إلا أنه أصاب هدفه من المرة الأولى، اصطدمت بها. التفتت ونظرت له بأعين خاوية، لا يسكُن بها سوى الشر فحسب. بدأ يتراجع للخلف، وقلبه يرتجف بعُنف، هل أخطأ في قراره؟ هل أغضبها؟ أم أن تلك هي طبيعتها؟ كُل خطوة اقتربتها منه، ابتعدها عنها وهو يتراجع للخلف. استمرت مُطاردتهما البطيئة المُمِلة حتى شعر أنه اقترّب من منزل الشيخ. نظر من فوق كتفه ليرى حلمي ينظر له من نافذة البيت، قال له وهو يعود بنظراته فوق ذات الأشواك مرةً أخرى: «قليل من المُساعدة لن تضر يا حلمي!»





انتبه حلمي لأنه يُراقِب الأمر من مقعد المُشاهد. فَتَح الباب وخَرَج سريعًا، ورغم الظلام الذي يُسيطر على كُل شيء إلا أنه لاحظ أن ذات الأشواك اقتربت من نجيب للغاية. مَسَح المكان بعينيه إلى أن وَجَد ضالته، حجر ضخم مُلقي بجوار البيت. حمله بصعوبة مُحتملًا ثقله وهو يدور من خلف ذات الأشواك التي اقتربت من حصار نجيب. رفع الحجر عاليًا وهو يهوي به على رأسها.

سقطت أرضًا كالحجر. دون أن تنطق ببنت شفة، كان نجيب يرتعد في خوف وهو يقول: «شكرًا لك»

«عفوًا»

«لن نستطيع أن نواجه كل هؤلاء المسوخ، كاد قلبي يتوقف خوفًا من واحدة فقط»

«لماذا؟، إنه مسخ أبله، سقطت من الضربة الأولى»

«لكنك لم تر عينيها، كأنها بوابة من بوابات الجحيم..»

«لهذه الدرجة؟»

« الشر يستعر في عينيها، تلك هي المرة الأولى التي أرى فيها مثل هذا الأمر يا رجل، الأمر مُخيف...»





«حسنًا، عليك أن تهدأ قليلًا كي تستكمِل خطتك، نجحنا في استدراج ذات الأشواك إلى هنا، ووجدنا طريقة للتغلّب عليها، عليك الآن أن تجد طريقة لتوقظ النائمين بالداخل»

بدأ نجيب يلتقط أنفاسه وهو يقول: «حسنًا... حسنًا»

التقط أنفاسه وهو يقترب منها، أمسك قطعة من القماش ولفها بعناية حول يده. أمسَك إحدى الأشواك وهو يجذبها للخارج، لكنها كانت أقوى من اللازم. استمر في جذبها إلى أن شَعَر بها تخرُج من مكانها، جذبها بقوة إلى أن خرجت مصحوبة ببعض قطرات من سائل لزج. مسح السائل بقطعة القماش ونظفها تمامًا. أشار لحلمي نحو إبريق الماء، حمله حلمي وصب عليه الماء صبًا لينظفها تمامًا، قبل أن يُمسكها ويضع طرفها في النار كي يُعقمها تمامًا.

حين انخفضت درجة حرارتها قليلًا. أمسكها وهو يقترب من ماجد. وضع طرف الشوكة تحت ظفره وغرسها للداخل بعُمق. بعد قليل انتفض جسد ماجد وهو يتأوه ويعود للحياة الواقعية مرة أخرى. فتح عينيه ببطء وهو يستغرق بعض الوقت ليستوعب أين هو وماذا يفعل. تركه نجيب وهو





يكرر ما فعله بظفر عمّار، ومثل صديقه انتفض وهو يتأوه قبل أن يستيقظ.

سأل ماجد بألم وهو يمسك بيده: «ما الذي يحدُث؟، ولماذا أيقظتنا بهذه الطريقة؟»

بدأ الشيخ يشرح لهم ما يحدُث. اتسعت أعينهم بهلع وعدم تصديق، لا يصدقون ما يُقال، قاما فوراً لينظرا من النافذة والشيخ مُستمِر في الشرح، كان يحكي لهم عن المسوخ الموجودة بالخارج وهو يقول: «ودجاجة تنفث النار من منقارها، وعملاق ضخم برأس كلب يبكي بوحشية، ورجل خفي يظهر حين يصطدم بالآخرين و...»

قاطعه ماجد وهو يشهق ويقول: «رباه، هذا هو كابوسي»

انتبه حلمي للجُملة فسأله باهتمام: «ماذا قُلت؟»

نظر له ماجد وهو يقول: «هذا كابوسي، دومًا أحلم بكابوس يتكرر، أستيقظ من النوم لأجد رأس كلب موجود بدلًا من رأسي، كُلما حاولت التحدث مع أحدهم يصدر مني صوت نباح. وفي النهاية يلقونني خارج القرية فأجلس القرفصاء وأنا أبكي بألم وحُزن، لكنني لا أراه، أين هو؟»





بحثوا عنه جميعًا فلم يجدوه. نظر الشيخ لنجيب وهو يقول: «يبدو أنه اختفى تمامًا، أين ذهب؟»

قال نجيب وكأنه يستكمل جُملة الشيخ الأولى: «اختفى حين استيقظ ماجد»

قال حلمي وقد بدأ بفهم ما يحدُث: «وواجهنا صعوبة في إيقاظه»

فهموا جميعًا ما يحدُث باستثناء ماجد الذي قال بإحراج: «لم أفهم، هل يختفي المسوخ كلما استيقظت؟»

قال الشيخ: «لا يا ولدي، لكن حين نمت تجسّد كابوسك في القرية، وواجهنا صعوبة في إيقاظك لأن الكابوس كان يسيطر عليك تمامًا، والآن حين استيقظت اختفى الكابوس، وهنا الأمر الهام، يجب أن نوقظ كُل سُكّان القرية بلا استثناء. وحينها ستنتهي الكوابيس وتنتهي اللعنة، لكن علينا أن نتبع نفس الطريقة التي أيقظكم بها نجيب»

فهِم الجميع ما يحدُث ويبدو أن تلك المسوخ كانت تنتظر تلك اللحظة لتبدأ الهجوم، الهجوم المصحوب بزئير هزّ قلوب رجالنا الشُجعان.





تبادلوا النظرات في خوف قبل أن يندفعوا جميعًا خارج البيت بسُرعة.

* * *

خلع كُل منهم شوكة ضخمة من أشواكها وخرجوا يعدون وسط المسوخ. يتجنبون لهيبًا مُندفعًا من أنف أحد تلك المخلوقات العجيبة أو يتجنبون الاصطدام بمسخ آخر كي لا يغضبونه. أصحاب الأكواخ نائمون، لذلك لا طريقة لدخولها سوى كسر الأبواب. كانت تلك مُهمة ماجد الذي ترك شوكته جانبًا وأخذ على عاتقه تنفيذ مُهمة كسر الأبواب الخشبية. كلما كَسَر بابًا سَمَح لأحدهم بالدخول. وقد أصبحت مُهمة هذا الدالف للكوخ هي إيقاظ كُل أهله، بينما يعدو الباقين خلف ماجد من كوخ إلى كوخ، ومع كُل كوخ ينقصون واحدًا وتنقص المسوخ التي خُلقت من كوابيس واحدة أو أكثر بدورها، تتناسب قلة عددهم طرديًا مع قلة عدد النائمين بالقرية.

ويبدو أن المسوخ أيقنت سريعًا أنها في خطر، فبدأوا ينبهون للأمر. بدأوا في سد مداخل ومخارج الأكواخ على الرجال كي يمنعوهم من إتمام وإكمال مُهمتهم.





كانت بعض المسوخ ضعيفة أو غبية، مما سَهل عليهم مُهمة خداعها بخدع بدائية مثل تشتيت انتباهها أو أشياء من هذا القبيل، وكانت الأمور تتم بسلاسة. لكن مع اقتراب النهاية كانت المسوخ المُتبقية قد انتبهت وعرفت أن في خداعها هلاك لها. وبدأت تنتبه جيداً لخطط وتكتيكات حلمي ورفاقه، لكنهم أغفلوا جانبًا مُهمًا للأمر. وهو أن عدد أهل القرية يزداد، ومع ازدياد عددهم... يقل عدد المسوخ، لكن الأمور دومًا لا تسير مثلما نُريد أو نتمنى.

أغفل أهل القرية أمرًا هامًا، وهو أنهم لا يعرفون صاحب أو صاحبة كابوس ذات الأشواك، لذا ارتكبوا خطئًا بالغ الفداحة حين أيقظوا ميرفت زوجة حسونة. كانت هي من تحلم بذات الأشواك وهي تعدو خلفها في الغابة. تجري ميرفت أمامها وهي تتنفس بصعوبة، الغابة مُظلمة وهادئة بشكل غريب. تختبئ خلف شجرة وهي تتنفس بصعوبة، ذات الأشواك تبحث عنها لكنها رغم هذا تحتفظ بابتسامة ساخرة على وجهها. تُفكّر ميرفت في الاستنجاد بزوجها، لكنها تخشى أن تُحدِّد ذات الأشواك موقعها بسبب صوتها، قررت الالتزام بالصمت والانتظار.

كانت ذات الأشواك مُستمِرة في البحث عنها خلف الأشجار وبين الشُجيرات، وكانت تقترب منها. كان





أمامها اختيارين أحلاهّما مُر، الأول: أن تعدو من أمامها فجأة وتكشِف مكانها لكنها ستستغل عُنصر المُفاجأة لتسبقها بعدة ثوانٍ. والثاني: أن تظل مكانها بلا حرك في انتظار أن تمِل ذات الأشواك أو أن تصِل لها.

قررت أن تُنفذ خيارها الأول، حين تكون في مُطاردة ما، فإن الثانية الواحدة قد تُشكِّل فارقًا.

خرجت من مكانها وهي تعدو فجأة نحو قلب الغابة. ولأن ذات الأشواك كانت تنتظر هذا التصرُف، لم تُضع المزيد من الوقت في دهشة أو تعجب، انطلقت تعدو خلفها. ولأن ميرفت ساذجة ارتكبت الخطأ الأشهر في المُطاردات، نظرت خلفها وهي تجري فزعة. ولم تنتبه لجذع شجرة شارد، اصطدمت به وهي تسقط أرضًا.

نظرت لذات الأشواك التي امتلأت عينيها بشر لا مثيل له. وارتسمت على شفتيها ابتسامة سُخرية لم تر مثلها من قبل. زحفت ميرفت على مؤخرتها وهي تحاول الابتعاد عنها، لكن ذات الأشواك وضعت قدمها على طرف الجوال الخيشي التي ترتديه لتمنعها من الابتعاد.

مدت يدها وانتزعت شوكة من كتفها، غرستها بقوة في قدم ميرفت. اخترقت الشوكة قدمها





وهشمت عظامها وهي تنغرس في الأرض تحتها، وكذلك فعلت في قدمها الأخرى ويديها، ثبتتها في الأرض تماماً.

تنتزع ذات الأشواك شوكة عريضة من ظهرها، عريضة النصل مثل الخنجر. تقترب منها ببطء وإمارات الشر تحتل ملامحها، وحينها تستيقظ ميرفت وهي تشهق بعنف وترتعد لفترة طويلة حتى تتخلص من آثار الكابوس المُخيف.

حين استيقظت ميرفت اختفت ذات الأشواك، وبالتالي اختفت الأشواك من بين أيديهم. وجدوا أنفسهم في النهاية في مواجهة المسوخ بلا سلاح، وبلا وسيلة لإيقاظ النائمين.

لكن نجيب وحلمي كانا أذكى. أخرج نجيب خنجراً من بين طيات ملابسه، ذهب إلى أقرب شجرة إليه وبدأ في قطع شظايا صغيرة من الخشب ذات سنون حادة، أعطى كُل منهم واحدة وانطلقوا لاستكمال مُهمتهم.

ورغم مقاومة المسوخ لهم إلا أن ازدياد عدد أهل القرية وقلة المسوخ كانت تُرجح الكفة وبشدة لصالح أهل القرية وقبيل الفجر بدقائق كان سُكّان القرية قد استيقظوا واختفت المسوخ تماماً من القرية. وقف الجميع يتنهدون بارتياح وهُم يراقبون





شروق الشمس وإغلاق باب جديد من أبواب اللعنات.

لكنهم فجأة سمعوا صرخة حادة من أحد الأكواخ، غلب النوم أحد الكهول مرة أخرى قبل شروق الشمس. لم يعرف أحد بشأنه وبالتالي لم يوقظه أحدهم مرة أخرى، ولأنه نام قبل الفجر، سقط فريسة للكوابيس، وهرب مسخه وسط الغابة.

لم يلاحظ أحد هذا الطفل الصغير الذي يمتلئ جسده بالفراء الناعم وهو يتسلل بهدوء ناحية الغابة ليختبئ منهم. وحين لم يروه ووجدوا القرية فارغة خالية من المسوخ، ظنوا أنهم أيقظوا الجميع.

لكنهم نسوا الكهل، وهرب منهم المسخ بعيداً، وسقط الكهل فريسة للكوابيس.

وللأسف الشديد... لن يستيقظ الكهل مرة أخرى أبداً سوى عند إغلاق باب اللعنات، وبشكل نهائي.

نظروا جميعًا لحلمي الذي ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينظر لهم بخوف.

ها هو عبئًا جديداً قد انضم لقائمة الأعباء التي تُثقِل كاهله.





همس لنفسه بحُزن ممتزج بالخوف: «وماذا بعد يا حلمي؟ أنت تُزيد الأمور سوءا»

نظر للشيخ وهو يقول: «أيقظنا الجميع من كوابيسهم إلا أنا، أما لكابوسي من نهاية؟»

أشار الشيخ للسماء وهو يقول: «ستُفرج، وكُله بأمره ورضاه»

تمتم حلمي: «ونِعم باللّه»





(١٠)

(المنفيون والهارب من الكابوس)

مشى الطفل الصغير المخلوق من الكابوس وسط الغابة بحذر. يعرف جيداً أنه هارب من كابوس، ويعرف كذلك أنه حبس الكهل في سجنٍ من نوم إلى أن يقبضوا عليه أو يقتلوه وحينها فقط سيستيقظ الكهل. وهو على أي حال لا ينوي أن يفعل هذا قريباً.

يمشي بحذر بين الشُجيرات ويختبئ خلف الأشجار. يحاول تجنب المناطق العارية وضوء الشمس الحارق. هذا الكهل كان يحلَم به باستمرار، لطالما زاره في كابوسه. حاول مرة تلو الأخرى أن يُنهي الكابوس بطريقته الخاصة، يقولون أن من يموت في الحلم، يموت في الحقيقة. وهكذا كان يحاول، لكن العجوز المأفون كان دوماً يستيقظ قبل النهاية بلحظات.

للعجوز حفيداً يُحبه، هو الحفيد الوحيد، لذا يخاف عليه العجوز ويُحبه حُباً جماً. لكنه حين ينام، وبسبب خوفه الدائم عليه، يره في الحلم وهو يلعب بجوار الكوخ. يلعب في الأرض بهدوء ولُطف. لكن حين تظهر تلك الدعسوقة الصغيرة ذات





الظهر الأحمر المُنقّط، لفتت نظره بحركتها البطيئة وألوانها المُبهجة. بدأ يمشي خلفها وهو يُراقبها ويضحك، وهي بدورها بدأت تُلاحظه وحاولت الابتعاد عنه.

دخلت إلى الغابة ودون أن يدري أو ينتبه. دخل خلفها مُخالفًا تعليمات والدته وجده المُستمرة له بعدم سبر أغوار الغابة وحيداً. كان اللون الأحمر ساحراً، لم ينتبه كذلك للظلام الذي بدأ يحل سريعاً، في عالم الأحلام لا تسري قواعد اليقظة. لذلك انتصف الليل في غضون دقائق، ووجد الطفل نفسه وحيداً في غابة مُظلمة. وما زاد الطين بلة كان في الصوت الخافت الذي يحيط به.

يتلفت الطفل حوله في خوف، يبحث عن مصدر الصوت، يسمع زئيراً خافتًا من خلفه، ويعرف من فوره أن مصدر الصوت خلفه تماماً، ينتظره أن ينظُر خلفه. يلتفت ببطء شديد ويبدأ جسده في الارتعاد وهو يُراقب الذئب ذا الشعر الرمادي الذي يقف خلفه وهو يزمجر بعُنف ووحشية.

يسيل اللُعاب من فكه المفتوح بوحشية. أنيابه الحادة تلتمع تحت ضوء القمر. تلمع عيناه بوهج أحمر مُقبِض للقلب. تراجع للخلف لكن الذئب كان أسرع منه. قفز فوقه ليُسقطه أرضًا، جثم الذئب على جسد الطفل الصغير وهو يتنفس ببطء.





أنفاسه ساخنة كريهة الرائحة، رددت الغابة كُلها صرخة الطفل والذئب ينهش رقبته وصدره بوحشية.

ورغم سن العجوز وآلامه ومرضه إلا أنه كان يجري في الغابة تجاه مصدر الصرخة بحثًا عن حفيده. تقول له دقات قلبه الخائف أن الأوان قد فات. لكن الأمل يرفض الاستسلام ويحثه على إسراع الخُطى. تحت ضوء القمر يرى الجد جُثة حفيده، مُلقاة أرضًا، مفتوحة البطن، العنق ينقص قطعة لحم ضخمة وبركة واسعة من الدماء تُحيط بالجُثة، بدون تفكير يُلقي العجوز بجسده نحو حفيده وهو يحضنه ويبكي من أعماق قلبه، يبكي عشقه للفتى وخوفه عليه، لكن جسده انتفض حين شعر بحركة الجُثة بين يديه.

تنغلق جراح الفتى وتلتئم. تجف الدماء على جلده وتعود رقبته لشكلها الطبيعي. لكن الأمر لا يتوقف عندئذ، يبدأ فراء بني ناعم يملأ جسد الصغير، تستطيل أذناه وتبدأ أنيابه في الطول، يتحول لنصف حيوان بين يدي الجد. الذي يُلقي الجُثة من بين يديه وهو يبتعد عنها ببطء، لكن الفتي يفتح عينيه، التي تلتمع بوهج أحمر مُخيف، ينقض الفتي على العجوز محاولًا قتله، لكن العجوز يفتح عينيه ويعتدل على فراشه وهو ينشج بعنف، أحيانًا يبكي وهو يرتجف.





لكنه دومًا يستيقظ في الوقت المُناسب.

هذه المرة الأمور مُختلفة والفتى بنيته استغلال فرصته بأفضل حال وأحسن طريقة، لا يعرف إلى أين يتجه، لكنه يمشي خلف إحساسه، الذي يقول له أن هذا الكهف الصغير الموجود على حدود القرية هو وجهته. اقترب من مدخل الكهف وأنصت السمع، سمع صوت همهمات غير واضحة تأتيه من الداخل، هناك أشخاص بالداخل، ويبدو أنهم في انتظاره.

* * *

دخل الفتى الذئب إلى الكهف بخطوات بطيئة... كهف مُظلم للغاية، لكن كُل بضعة أمتار يجد شُعلة نيران تُضيء المكان قليلًا. كُلما مشى عدة خطوات سمِع الصوت يزداد قوة ووضوحًا، صوت عميق أجش يأمر بقوة وصوت خائف مُتردِد يُناقش بخفوت.

اقترب من الصوت ببطء. وقف بعيدًا يُراقب الشخصين، يحاول أن يُنصِت السمع جيدًا، لكن الصوت الأجش يقول في قوة: «ها هو ضيفنا الأول قد وَصَل، مازلنا في انتظار الضيف الثاني»

شعر الفتي بالإحراج، بينما هو يحاول أن يسترق السمع بينما هُم يعرفون بوجوده. اقترب منهم

وهو يتأملهم، عجوز مأفون يرتدي ملابس غريبة الشكل، تختلف تماماً عن ملابس أهل القرية، عباءة سوداء غريبة الشكل تحتضن جسده النحيف، لحيته البيضاء طويلة ومُشعثة، وعلى وجهه آثار غضب نحتته السنون. في عينيه تتراقص نظرة ثقة تمتزج بجنون مُطبَق. بينما كان الآخر رجلًا نحيفًا ضعيف البنية، تبدو عليه إمارات سوء التغذية، في وجهه حُزن لم يرى مثله من قبل. يرتدي جوالًا خيشيًا قذر مُمزّق، يبدو مثل أهل القرية.

أمر الشيخ الرجل أن يُرحِب بالضيف، لكن الرجل نظر له بدهشة وهو يقول: «وهذا من المُفترض أن يكن ماذا؟ الولد الكلب؟ »

زمجر الفتى الذئب بغضب مُكشرًا عن أنيابه، صاح بهم العجوز: «كفى.. اصمتا»

صمت كلاهما وهُما يتبادلان النظر في غضب، قال العجوز: «يجب أولًا أن أعرفكما ببعضكما البعض، عم التابعي هذا معروف بالمنفي. في الحقيقة هو ليس أول من يُنفى من القرية وبالقطع لن يكون الأخير طالما القرية تحتوي بين أذرعها الشيخ محمود المأفون والغريب فاتح باب اللعنات المُسمى حلمي. فقد عم التابعي زوجته وحب حياته، وابنه الوحيد بسبب هذا القذر المسمى حلمي. بكلمة واحدة هدَم كُل أحلامه وقصور مُستقبله فوق رأسه





حين إخطار أن يُضحي بصغيره. لكنه هنا كي أحقق له انتقامه، وسأساعده على الانتقام»

رفع الرجل يده بتكاسُل وهو يحيي الصغير، الذي بدأ العجوز بتعريفه: «الفتِي الذئب، الهارب من عالم الكوابيس، الخارج من أسوَد العوالم وأبشعها على الأطلاق. هرب منهم ليترك أحد هؤلاء الخونة فريسة للنوم. من مصلحته مثلنا تمامًا ألا ينغلق باب اللعنات وإلا عاد لعالمه مرة أخرى وانتفى وجوده تمامًا»

بادل الفتى الرجل التحية، بينما استكمَل العجوز كلامه ببطء وقوة: «لم تعرفانني بعد. أنا سفير الجحيم ورسول الشيطان، أنا من أمر فقال نعم، بينما خاف الجميع من وهم غير موجود وقالوا لا. أنا من أطاع الشيطان، من وقف في صف الحق، من قال لا للباطل. أنا من قاوم قرية بأسرها ورفض الانصياع لهم، أنا المنفي... المنفي إلى وطني. جحيم سيدي وحبيبي. أنا رسول ديكاراب، أنا المغلاوي يا حمقى»

سمعوا صوت أقدام تقترب منهم، أنصتوا السمع جميعًا، كان الضيف الثاني على وشك الدخول، بخطوات بطيئة واثقة، كمن يمشي في بلاد ملكها. انتظروا جميعًا قدومه في ترقُّب، ظهر وهو يبتسم، يرتدي ملابس أهل القرية وتبدو عليه





علامات الذكاء، ابتسَم المغلاوي حين رآه وهو يُرحِّب به قائلًا: «مرحبًا بالضيف المُنتظر»

ابتسَم الضيف وهو يقول: « مرحبًا يا مغلاوي، كيف حالك يا عم التابعي؟»

نظر للمسخ وهو يقول: « لقد تقابلنا من قبل، فأنا من سَهَّل هروبك من بين يدي أهل القرية »

ابتسم المغلاوي وهو يقول: «مرحبًا يا نجيب..»

* * *

جلس نجيب على صخرة وهو يقول: «مرحبًا يا مغلاوي، كيف حالك؟»

قال المغلاوي بمرح: «كما ترى، منفي!»

قال نجيب بثقة وهو يضع قدمًا فوق قدم قائلًا: «كادت تنتهي تلك الأيام، وستذهب بلا رجعة»

أشار له مغلاوي بحَرَج وهو يقول: «أنت ترتدي جوالًا من الخيش، لذا حين تضع قدمًا فوق قدم نرى...»

اعتدَل نجيب بإحراج وهو يُتمتم مُعتذرًا، قبل أن يستكمل مغلاوي حديثه: «بكُل تأكيد ستذهب وبلا رجعة، والفضل... كُل الفضل لك»





نظر نجيب للتابعي وللفتى الذئب الذي تبدو عليهم علامات عدم الفهم، يعرفه الفتى الذئب جيداً أن نجيب ضمن الفريق الذي يُدافِع عن القرية، لكن تحوّل دوافعه بهذا الشكل وتلك الطريقة هي ظاهرة تستحق الدراسة، ويبدو أن نجيب لَمَح في عيني الفتي نظرة تساؤل، قال: «بما أننا سنقاتل إلى جانب بعضنا البعض، فيجب عليكم أن تعرفوا جيداً لماذا أفعل هذا؟ هذا هو أبسط حقوقكم عليّ»

صمت قليلًا قبل أن ينظُر للتابعي قائلًا: «كما يعرفون هُم، وتجهل أنت، أنا ضمن الفريق الذي يقوم بحماية القرية من اللعنات، أقوم بإيجاد حلول وبالقتال جنبًا إلى جنب مع الغريب لغلق باب اللعنات يومًا بعد يوم، لكنني لن أنسى يومًا أن المأفون محمود هو سبب وفاة ابنتي. في يوم مرضت الفتاة مرضًا شديداً، لم يستطع السيد حفني أن يُعالجها. أخبرني أن الأمر أكبر من قدراته. بدأ جسدها بالارتعاش، ارتفعت درجة حرارتها للغاية، ووقفت أبكي أمامها وأنا عاجز. عجز الرجال قهر يا تابعي، وأنت جربته بنفسك وشعرت بمرارته التي لن تنساها. يومها ركعت تحت قدمي محمود أقبلهما وأرجوه أن يسمح لي بالخروج من القرية، سأذهب بالفتاة لأقرب قرية، أو لأي شخص، نعرف أن هناك حياة خارج حدود القرية، نعرف أنهم





متقدمون للغاية. ونحن متأخرون للغاية، لكنه رفض، رفض دون إبداء أي أسباب، وهددني أنه سيقتل ابنتي أمامي إذا حاولت مُغادرة القرية، وكانت النتيجة أن دفنت ابنتي بيديّ يا تابعي، دفنتها بيدي أمام عينيه»

صمت قليلًا مُتأثرًا بما حكى لهم، مسح دمعة تسللت من داخل روحه ووجدانه لتسيل على وجنته قبل أن يقول: «تناسيت الأمر، لكنني كُنت دائمًا أشعر بتأنيب الضمير. كان بيدي أن أقف أمامه وأقاوم سُلطته الغاشمة، لكنني كُنت ضعيف، كُنت خائن لأسرتي، حتى لو قتلني، كُنت سأموت واقفًا مُدافعًا عن ابنتي، كُنت سأدفن معها، كُنت سأرتاح من عذاب الضمير»

تسلم المغلاوي دفة الحديث وهو يُديرها ببراعة قائلًا: «وهُنا يأتي دوري، حين تم نفي التابعي من القرية. كان خائفًا من الدُب، في الحقيقة لا يوجد أية دببة. الأمر أن ديكاراب هو من يقتلهم شر قتلة كي يُخيف أهل القرية، تلقفته بين يدي. طمأنته وهدأته ووعدته أننا سنُحقق له انتقامه، فقط في حالة واحدة فقط، وهي أن يُساعدنا في تحقيق انتقامنا، ولأنه يائس، كان قراره سريعًا وحاسمًا وبدون أدنى ذرة تفكير»





نظر التابعي للفتى وعينيه تستعران غضبًا: «كُنت أتخفى وأعود للقرية يوميًا أثناء حالة الفوضى الناتجة عن فتح أبواب اللعنات، أتخفي وسط الجموع الخائفة المُرتعدة هلعًا. أراقب ما يحدُث وأحرص على نقله حرفًا بالحرف إلى المغلاوي، الذي ينقله بدوره إلى ديكاراب وينتظر منه أوامره لننفذها بالحرف الواحد، إلى أن أصدر لي أمره بنقل رسالة مُعينة إلى نجيب، لم أفهمه المقصود من الرسالة أو غرضها، لكنني نفذت ما طُلِب مني، ويبدو أن نجيب فهِم المطلوب وإلا ما كان هُنا»

سمعوا صوتًا عميقًا هزّ جدران الكهف هزًا، ارتعدت قلوبهم لسماعه. رأوا غيمة من الدخان الرمادي المُقبض تطفو بينهم، تتجه نحو مغلاوي الذي ابتسم وهو ينتظر اقترابها. كان يعرف جيداً أن تلك طريقة سيده ديكاراب في التجسُد. أحاطت الغيمة بجسده، بدأ الدُخان الرمادي في الدوران حلو جسد المغلاوي الذي بدأ يرتعد بعُنف وعلامات الألم تبدو على وجهه، بعد لحظات قليلة هدأ. ظهرت في عيناه نظرة غريبة، نظرة تحمل من الشر أطنانًا لا قبل لمخلوق بشري أن يحمل مثلها، ارتسمت ابتسامة سُخرية على شفتيه قبل أن يخرُج من بين شفتيه ذات الصوت الذي سمعوه منذ قليل: «مرحبًا بكم في حضرتي أيها الفانون، اقترب موعدنا، ليلة واحدة فقط ستمُر، والليلة التي تليها سينتهي





الأمر، سنحكُم القرية، ستُصبح تلك القرية بين يدي، لي كامل حُرية التصرف بها»

تنحنح الفتى الذئب وهو يقول: «آسف لمُقاطعتك، لكنني لا أفهم ما هي أهمية تلك القرية تحديداً كي تتنافسون عليها بمثل هذا الحماس»

ظهرت علامات الألم مرة أخرى على ملامح مغلاوي وغيمة الدُخان الرمادي تلتف حوله بشكل عكسي، قبل أن تبتعد عنه تماماً، اقتربت من الفتى بسُرعة هائلة، أحاطت به تماماً. لدرجة أنه اختفى داخلها عن أعينهم جميعًا. لحظات قليلة وعادت الغيمة نحو جسد مغلاوي ليحتله بذات الطريقة. عادت أعينهم نحو الفتى مرة أخرى ليجدوه عبارة عن كُتلة فحم سوداء، احترق تماماً، بكُل ما تحمله الكلمة من معنى. سمعوا الصوت يقول بلهجة تحمل تهديداً واضحاً: «هذا هو جزاء من يسأل الأسئلة أو يُناقش ما تؤمرون به، هل تفهمون؟»

تبادل نجيب والتابعي النظرات للحظة وهُما يبتلعان ريقهما بصعوبة قبل أن يهزا رأسيهما بالموافقة. قال الصوت: «حسنًا، هذا أمر عظيم، انصرف الآن يا نجيب، كُل المطلوب منك هو أن تجد حلًا لتُساعد أهل قريتك وتُغلِق باب اللعنات بالغد، وفي الليلة الخامسة سينتهي الأمر»



هز نجيب رأسه وهو ينصرف بخطوات مُسرعة من الكهف. سمع الصوت يقول بلهجة آمرة للتابعي: «اسجد لي أيها الفاني»

لكنه لم يتوقف أبدًا ليسمع باقي الحوار، بخطوات سريعة توجه نحو قريته...

التي خانها!





(١١)

(النداهة)

مع اقتراب الغروب توترت النفوس، وانقبضت القلوب. تأهبوا جميعًا والإرهاق يسكُن أجسادهم ويؤلم عضلاتهم. كان قد بَلَغ منهم مبلغًا ضخمًا؛ لدرجة أن حركاتهم كانت بطيئة وردود أفعالهم مُتأخرة قليلًا. لكن هذا لم يمنعهم من تقبُل الحقيقة الواضحة وضوح الشمس. سيفتح باب اللعنات الرابع في موعده ولن يمنعه أي شيء أو أي شخص، مهما كان وأيًا كان.

تثاءب نجيب بقوة وهو يسأل الشيخ: «متى ستنتهي هذه اللعنة؟»

بينما كان الشيخ مُنهمكًا في قراءة كتاب قديم، أجابه دون أن ينظُر إليه: «لا أعلم يا نجيب»

شعر نجيب بالضيق. رغم أنه يعرف جيداً أن تلك هي الليلة قبل الأخيرة إلا أنه كان يُجيد تمثيل دور الجاهل بالأمور. سأله بنبرة غلبها الضيق: «وهل سنظل نُحارب ونُغلق أبواب اللعنات إلى يوم الدين؟ سيستمر الأمر إلى ما لا نهاية؟»





رفع الشيخ عينيه عن صفحات الكتاب وهو يقول بهدوء تغلبه الحكمة: «لكُل شيء نهاية يا ولدي. للعمر نهاية، وللزمن نهاية، وللعنات نهاية. لكن النهاية سر لا يعرف خباياه إلا اللّه سُبحانه وتعالى»

امتعض نجيب، حاول جاهداً أن يُخفي شعوره. فالرجل الذي يتحدث الآن عن اللّه سُبحانه وتعالى، هو ذات الشخص الذي منعه من إنقاذ ابنته مما أدى إلى وفاتها. وهو ذاته نفس الشخص الذي ذبح رضيعًا أمام أعين أهله كي يُثبت للقرية أنه السيد. كان شيطانًا مثل ديكاراب تمامًا. كان نجيب ذكيًا، يدرك أن ديكاراب سَمَح للمخ بالهروب من عالم الكوابيس فقط كي يقتله أمام أعينهم-هو والتابعي- ليرسُل لهم رسالة مفادها واضح وصريح، وهو أترون، أنا فقط السيد والمُتحكِّم. الكلمة بيدي والأمر بيدي، ومن يُخالفني سيموت. كانت هذه هي الفائدة الوحيدة من وجود المسخ، اعترف نجيب لنفسه أنه ورغم فهمه لهذا التكتيك، إلا أنه كان ناجحًا جداً. لن يُفكِّر أو يناقش أوامر ديكاراب أبداً، مهما كانت..

كانت الشمس قد غربت تمامًا. قفز القمر نشيطًا ليحتل كبد السماء، ورغم ضوئه القليل إلا أن وجوده كان مُطمئنًا لقلوبهم. حَبَس أهل القرية أنفسهم في أكواخهم، وهُم مستعدون لإخلائها فورًا عند أي بادرة قلق أو فوضى. بينما جلس رجالنا





الأربعة أمام كوخ الشيخ محمود الذي شاركهم مجلسهم، ملتفين حول لهب دافئ، ينير دنياهم ويمد أوصالهم بدفء افتقدوه. كان ماجد يفرك يديه بقوة أمام النيران وهو يقول: «لم أكُن أتخيّل أن أجلس يومًا بصُحبة عمّار ونجيب، كان كل منا في عالم بمفرده.»

ضحك الشيخ محمود وهو يقول: «سلامًا للعنات التي تؤلف بين قلوب الرجال، وتحيةً للمصاعب التي تُبيّن معادنهم»

قال عمّار: «رغم أنني لم أحبك وحتى الآن لا أستطيع أن أحبك يا حلمي، لكنني حقًا فخور أنني أقاتل إلى جوارك. أنت مُقاتل ذكي، ومعركتنا هذه تعتمِد على الذكاء والعقل، معركة تفكير من الطراز الأول. وأنت ونجيب أذكياء جداً، ولأن العقل بمُفرده لا يساوي شيئًا فوجود ماجد بجوارنا زادنا قوة وصلادة»

ابتسموا جميعًا إلا حلمي الذي سأله: «لماذا لا تُحبني يا عمّار؟»

أجابه عمّار بحِدة: «أنت تعرف السبب!»

قال حلمي بهدوء: «إن اللّه الذي يؤلف بين القلوب، الأمر ليس بيدنا يا عمّار»





بدأ الشيخ يشعُر بالتوتر وهو يُفكّر أن باب اللعنات الجديد سيُفتَح خلال دقائق وهذا القتال أو الصراع اللفظي عمومًا لن يكن في صالحهم على الإطلاق. لكن قبل أن يتدخَّل لتهدئة الأمور سمعوا جميعًا صوتًا أنثويًا ناعمًا، مليئ بالدلال والرقة وهو ينادي: «عاشووووووووووور..»

تبادلوا النظرات في هلع. كان الشيخ هو أول من نَطَق فيهم وهو يقول: «نداهة!»

قال حلمي: «لكن هذا مُستحيل تمامًا، هذه أسطورة. الأمر ليس منطقي.»

نظر له عمّار بقلق وهو يقول: «وهل أيًا مما يحدُث الآن منطقي بالنسبة لك؟»

* * *

ارتجف عاشور داخل كوخه حين سمعها تُناديه. انتفض قلب زوجته داخل صدرها. احتضنت ولدها وقربته من صدرها وهي ترتجف. همست له وهي تُراقب الخوف المتراقص في عينيه: «لا تجيبها»

قال بصوتٍ يرتعد: «ليس بنيتي، لكنني أخشاها»

«كُلنا نخشاها»

كررت النداهة ندائها، هذه المرة كان صوتها أكثر رقة ونعومة، كانت تمُط حروف الكلمة بدلال أنثوي يُلين أعتى القلوب: «عاشووووووووووور»

أغلق عينيه. كان يحاول، نعومة صوتها تجذبه. لم يكُن عاشور يومًا من الرجال الذي تُثير غرائزهم تلك الصفات، لكنه رغم ذلك ورغمًا عنه شعر بقلبه يرتجف. شعر بأنه في حاجة للرد على نداءاتها. شعرت زوجته بما يحدث، مدّت يدها وأمسكت بيده.

كان في أمس الحاجة لذلك، ابتسم لها بتوتر، كان شاكرًا حقًا لما تفعل، لكن الأمر –ورغم أنها لم تره– لم يُعجب النداهة، أم تراها رأته بطريقة كررت نداءها للمرة الثالثة: «عاشووووووووووور»

هذه المرة كان الأمر أقوى من احتماله، ظهرت عليه علامات التردد، كاد يقوم من مجلسه ويجيب نداءها. شعرت زوجته بما يحدث، وضعت الطفل النائم أرضًا وهي تحتضنه، استكان بين يديها. سَلَّم كافة أموره لها، شعر بالأمان، كان يحتاج لحضنها حقًا، لكن النداهة ذات الصوت الناعم الأنثوي المُغرق في الدلال والرقة كانت قليلة الصبر، تغيّر صوتها فجأة، امتلأ شرًا غريبًا وهي تقول: «هل ترفض القدوم يا عاشور؟ تستبدل جنتي بحضن زوجتك، التي تخونك مع مدحت العطّار»





انتفض عاشور وهو يبتعد عنها ونظر لزوجته بدهشة. يعرف جيداً أن مدحت تقدّم لها أكثر من مرة وأنها كانت ترغب بالزواج منه. لكن أهلها رفضوا، بسبب وجود مشاكل بين العائلتين. يعرف أنها كانت تُحِب مدحت، لكنه لطالما كان يُحبها ومُعجبًا بها. رأى الهلع في عينيها وهي تهز رأسها، تنفي كُل الأفكار الخبيثة التي تتسلل إلى عقله الواحدة تلو الأخرى. لكن شيطانه كان رجيماً، استمر في الهمس في أذنيه، أمسكها من كتيفها بخشونة، بدأت تبكي، رقّ قلبه. على أي حال هي زوجته وأم أولاده، يجب أن تكون النداهة تحاول العبث بأفكاره، تحاول إقناعه بأشياء غير حقيقية. أغلق عينيه واستغفر اللّه العظيم قليلًا، هدأ قلبه، رغم توتره بسبب ما سمعه أهل القرية لكنهم يعرفونه ويعرفوا أن زوجته وأم أطفاله صالحة. لكن النداهة لم تستسلم، بصوتها الملئ بالشر صاحت: «أم تراها لم تُخبرك عن مُقابلتهما داخل الغابة يوم الأربعاء الماضي؟»

عاد الشك إلى قلبه سريعًا. بالفعل رآها الأربعاء الماضي تخرج من الغابة مُرتبكة. وحين سألها أخبرته أنها كانت تشُك أن أباهما دخل للغابة وحين دخلت للبحث عنه رأت حيوانًا مُفترسًا فعادت خائفة. أمسكها من كتفيها بخشونة وهو يقول بصوتٍ





يحتله الغضب: «كُنتِ في الغابة الأربعاء الماضي فعلًا!»

شعر بالخوف يملأ ملامحها. الذعر سكن صوتها وهي تقول: «أقسم لك بحياة أبي أنها كانت المرة الوحيدة التي قابلته فيها، قال... قال... قال أن هناك أمرًا هامًا يريد أن يُحدثني بشأنه»

أمسكها من شعرها وهو يهز رأسها بغضب ويصرُخ: «وبعد ذلك؟»

قال وهي تبكي بخوف: «أخبرني أنه لا يزال يُحبني، أنه لا يزال يفكّر في، لكنني... لكنني أخبرته أني امرأة متزوجة ولي أسرة. أن الذي يقوله لا يصح، أقسم لك يا أبو فواز أن هذا ما حدث فقط»

لطمها على وجهها بغضب وهو يرتعش. يفور الغضب بداخله، ويكاد ينفجر. صرخت حين لطمها، نزفت أنفها خطًا من الدماء. سألها: «لماذا لم تخبريني؟»

كانت ترتجف خوفًا وهي تمسح دمائها بارتباك قائلة: «لم تكُن لتصدقني، كُنت ستشُك في. اعتقدت أنه أمر بسيط وسيمُر مرور الكرام، لولا ظهور تلك اللعينة.»





لطمها على وجهها مرة أخري وهو يقول: «تلك اللعينة أتت تُثبت عهرك»

ألقى بجسدها النحيل جانبًا. سقطت أرضًا وهي تتحسس شفتها المجروحة وتزحف لتحتضن ابنها الذي استيقظ وبدأ يصرُخ خوفًا وهلعًا. دفنت وجهها في جسده الضئيل وانخرطا سويًا في نوبة بُكاء عميقة.

أمسك الرجل نبوته الضخم وهو يضرب به أرضية الكوخ بقوة ويقول: «حسابك معي فيما بعد، عليّ أولًا أن أؤدب ذلك الوغد ليتعلّم كيف يحترم حُرمات البيوت»

فتح باب كوخه وهو يعدو غاضبًا نحو بيت مدحت العطّار الذي كان يُمسِك نبوته ويقف أمام منزله ينتظر قدوم عاشور. مُنذ سمع أول نداءات النداهة وهو يعرف أن تلك اللحظة قادمة لا محالة.

* * *

أنهت النداهة الجُزء الأول من مُهمتها، لكنها لم تنتهِ بعد. ما زال أمامها طريقًا طويلًا لتقطعه. كان أهل القرية قد تجمعوا حول مدحت وعاشور يحاولون الفض بينهما. يحاولان تهدئة الأمور، بالطبع مدحت مُخطئ ولا يستطيع أي شخص أن





يقول شيئًا آخراً. لكن ليس هذا هو الوقت المُناسب لحل النزاعات الآن.

تحرّك الحشد الصغير المكوّن من خمسة رجال يقودهم الشيخ محمود نحو مكان الصراع، صرخ بهم محمود بقوة وهو يقترب. توقّف الرجلان فوراً وهُم ينظرون له. يتنفس عاشور بصعوبة بفعل الغضب بينما يحاول مدحت أن يجد الحجج ويختلق الأكاذيب للدفاع عن نفسه، لكنه لم يُنكِر أبداً ما حدث. حاول الدفاع عن نفسه أمام الشيخ محمود فقال: «يا شيخنا، إن عاشور لا يُعطيني فُرصة للدفـ...»

صرخ به محمود بحزم: «اصمت»

ابتلع مدحت لسانه من فوره وهو ينظر للشيخ محمود بنظرة كُلها قلق. كان يعلم تمام العلم أنه مُخطئ، أكمِّل محمود كلامه قائلًا: «عليكما أن تكُفا عن الصراع الآن. باب اللعنات على وشك أن يُفتَح وأنتما تخوضان صراعًا لا معنى له»

قاطعه عاشور صائحًا: «ولكن....»

نظر له الشيخ محمود بعينين مليئتين بالغضب: «قُلت... اصمتا»





كتّم عاشور غضبه بداخله وهو ينظر أرضًا تحت قدميه ويستمِع لباقي حديث الشيخ الذي قال بلهجة آمرة: «غداً صباحًا وأمام أهل القرية سنقوم بمُحاكمة علنية أمام الجميع. ستُتح لك فرصة الدفاع عن نفسك يا مدحت. وستُتح لك كذلك فرصة لتأخذ حقك يا عاشور»

صمت قليلًا وهو يعبث بلحيته قبل أن يقول: «لكن الآن... على كُل منكما أن يعد لبيته. وسيقوم ماجد بحراسة بيت مدحت طوال الليل–ما لم نحتاجه– لسببين، أولهما: أن يحرص على عدم اقتراب عاشور من مدحت. وثانيهما: أن يحرص على ألا يهرب مدحت من مُحاكمته»

قال عاشور بغضب مُعترضًا: «ولكن...»

قاطعه الشيخ محمود بصرامة قائلًا: «قُضي الأمر»

أشار لماجد الذي فهِم إشارته وجلس على صخرة قريبة من بين مدحت الذي عاد عائداً لكوخه. وهو يعلم جيداً أن في انتظاره ليلة عصيبة مع زوجته قبل أن يجد مُحاكمة علنية في انتظاره وأغلب الظن أنهم سيجدونه مُدانًا.

اعتقد الجميع أن الأمر انتهى خصوصًا حين عاد الرجال الأربعة دون ماجد. جلسوا حول النيران، وقام





عمّار ليضع إبريقًا من الفخار فوق النار ليصنع لهم أعشاب ساخنة، وبينما كان يصُب الكوب الثالث سمعوها للمرة الثانية. كان صوتها هذه المرة قد عاد لنعومته ورقته وهي تُنادي بدلال أنثوي: «نبيييييييييييل»

نظروا لبعضهم البعض في فزع.

* * *

ارتعد قلب نبيل وكاد يتوقف من الخوف وهو يسمع اسمه. كانت تقول اسمه بدلال لن يستطع أن يقاومه. كان الصوت الأنثوي الناعم دومًا أهم نقاط ضعفه. نظرت له زوجته بعتاب وهي تراه يكاد يضعف، تعرف أنه معاييره مُنخفضة. غريزتها الأنثوية وغيرتها جعلاها تنسى الأمور المُرعبة التي تحدُث من حولهم. حاول التظاهر بالتماسُك، لكن مع تكرار نداءاتها بدأ جسده يرتعد. ليس خوفًا، بل ضعفًا. كررت نداءها بصوتها المليء بالدلال. وقف وهو يُعدِّل من وضع الجوال على جسده. قالت زوجته وملامحها تتبدّل من الغضب إلى الخوف: «هل نسيت ما حدث لعاشور!»

ظهرت عليه علامات التردُد قليلًا وهو يقول: «لكن عاشور كان نجسًا ويستحق ما حدث له، أما أنا فلم أفعل أية أخطاء»





كان يعلم أنه مُخطئ، وهي بدورها كانت تعلم. حاولت منعه من الخروج لكنه دفعها بيده وهو يسير نحو الباب بخطوات سريعة. فتح باب المنزل بقوة وهمّ بالخروج لولا ظهور عمّار الذي نظر له بصرامة وهو يأمره بالدخول لكوخه.

ظهرت علامات الغضب على وجه نبيل وهو يرى عمّار يأمره بالعودة إلى منزله، صرخ به: «هل ستحبسونني في بيتي؟»

قال له عمّار ببرود: «عُد إلى منزلك يا نبيل واستغفر اللّه كي تطرد شيطان غضبك»

دفعه نبيل بعيداً وهو يقول: «لا أرى شيطاناً غيرك»

تمالك عمار عينيه برغم الغضب الذي شعر به وهو يقول: «عد إلى منزلك يا نبيل، ولا تلمسني مرة أخرى»

دفعه نبيل بعيداً عنه بقوة أكبر وهو يقول بسُخرية: «وإلا ماذا ستفعل؟»

كاد عمّار يسقُط، تملكه الغضب. دفع نبيل بقوة، اصطدم جسد نبيل بجدار الكوخ الخارجي قبل أن يسقط أرضاً. مشى عمار إليه وهو يضع قدمه على صدره وهو يقول: «وإلا أهنتك أمام زوجتك»





صرخ به الشيخ محمود من خلفه بقوة: «عمّار»

رفع عمّار قدمه عن صدر نبيل وهو يمد يده إليه ليُساعده على النهوض. لطم نبيل يده بقوة وهو يقف بمُفرده دون مساعدة من أحد. أمره الشيخ بصرامة: «عُد إلى كوخك يا نبيل»

صرخ نبيل بغضب: «لن أعد، لا يملُك أحدكما أن يأمرني»

رددت القرية صوت ضحكة النداهة الساخرة وصوتها يتبدل للشر والحقد وهي تقول: «لماذا لم تقتله يا نبيل؟ أنت لا تخشى القتل. لقد قتلت إسماعيل من قبل، ألا تتذكّر؟»

تبدلت ملامح وجه نبيل، ارتبك وشعر بالخوف. شحبت بشرته وتوتر وهو يقول: «حسنًا، سأطيع أوامركم باحترام وأعود إلى الكوخ»

صاح به الشيخ من خلفه بقوة: «انتظر!»

توقف نبيل في مكانه، يكاد قلبه يتوقّف خوفًا. دقات قلبه قوية مُضطربة، لم يجرؤ على الالتفات للخلف ومواجهة عمّار والشيخ محمود، سأله الشيخ محمود من خلفه: «هل قتلت إسماعيل يا نبيل؟»

قال نبيل بصوت خافت يرتعد خوفًا: «أنت... أنت تعلم أن إسماعيل دخل الغابة ومات داخلها»

قال الشيخ محمود مُصححًا: «نحن نعلم أن جُثة إسماعيل كانت داخل الغابة فقط. وقتها ظننا أنه دخل إلى الغابة ليلًا ومات فيها، لكن شُبهة القتل كانت دومًا نصب أعيننا»

قال نبيل دون أن ينظر له: «لم أقتله، مات في الغابة!»

صرخ به الشيخ محمود: «نبيل.. قُل الحقيقة، هل قتلت إسماعيل؟»

التفت له نبيل ببطء وعلامات الغضب تبدو على وجهه وهو يقول: «نعم قتلته. قتلت المُجرم السادي عديم الإنسانية، قتلت الوغد المُتحرِش بالأطفال. رأيته يتحرس بوعد ابنة عبد السلام، وحين واجهته ارتبك وأطلق سراحها. أخبرني أنها كانت لحظة ضعف ولن تتكرر. لكنني رأيته مرة أخرى وهو يُمسِك بيد فضل الصغير، كان يقوده لداخل الغابة، تبعته دون أن يراني، ووجدته يحاول خلع ملابس الصغير، حينها ظهرت. أنقذت الصغير وواجهت إسماعيل، ولأننا في الغابة حاول قتلي. بدلًا من أن يخجل من نفسه، حاول الوغد قتلي! دافعت عن نفسي وانتهى به الأمر قتيلًا. لا





تلومني، اشكرني، اشكرني لأنني لو كُنت تركته كان سيضاجع أبنائكم وبناتكم. اشكرني لأنني قتلت الوغد المُنحرف!»

ظهرت علامات الدهشة على الجميع، قبل أن يقول الشيخ محمود: «هُناك قانون في القرية يا نبيل. كان عليك أن تُخبرني يا ولدي، إذا قتل كُل منا الشخص الذي يختلف معه أو يراه جديرًا بالقتل ستتحوّل القرية إلى غابة. سيقتل كلًا منا الآخر لمُجرد أنه لا يُحبه أو يراه ثقيل الظل»

قال نبيل بسُخرية غريبة: «أي قانون ذلك، القانون الذي يسمح لك بقتل الرُضع من أجل الغُرباء؟»

نظر الجميع نحو الشيخ محمود الذي بهت وجهه وهو يقول بتردد: «كفى يا نبيل، ستُحاكم مع عاشور في الصباح، قُضي الأمر»

تُرك عمّار على باب كوخ نبيل كي يمنعه من المُغادرة ويحميه من آل إسماعيل الذين بالطبع وصلتهم الأخبار وعرفوا أنه مات مقتولًا.

عاد الشيخ محمود إلى كوخه بصُحبة حلمي ونجيب فقط. ماجد لا يزال يحرس كوخ عاشور وعمّار يحرس كوخ نبيل. لكن النداهة لم تكتفي بما فعلت،





كانت قد اختارت ضحيتها الثالثة، وهذه المرة كانت قد اختارتها بعناية فائقة.

للمرة الثالثة يتردد صوتها في كُل أنحاء القرية مليئًا بالدلال الأنثوي وهي تنادي: «حلمييييييييييييييييي»

ابتلع حلمي ريقه بصعوبة وهو يُراقب نظرات الشيخ محمود ونجيب له.

* * *

ربت الشيخ محمود على كتف حلمي ليطمئنه قليلًا، لكن حلمي أجفل وهو يشعر بالتوتُر، قال الشيخ بلهجة مُطمئنة: «لا تقلق يا ولدي، كل مُر سيمُر»

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول: «الكُل هنا مُتحفز ضدي، الجميع يشعرون بالغضب مني، لن يتحمّل أحد أي كلمة ستُقال عني»

ابتسم الشيخ محاولًا أن يُهدئ من روعه وهو يقول: «لا تقلق يا ولدي، الأسطورة تقول أنك الوحيد الذي بيده إغلاق باب اللعنات»

قال حلمي بتوتر: «لكن يا شيخ...»





هذه المرة كانت النداهة تعرف أن الوقت يمرّ، وأنه يجب عليها أن تُسرِع قليلًا.

بصوتها الناعم المليء بالدلال نادته مرة أخرى:

«حلميييييييييييييييي»

تبادلوا النظرات بخوف، صاح حلمي بتوتُر: «متى سيُفتح الباب الرابع، كي يوقف هذا الهراء؟»

قال نجيب وهو ينظر له: «ألم تُدرِك بعد؟»

سأله حلمي بدهشة: «أدرِك ماذا؟»

« هذا هو الباب الرابع، نحن الآن في خِضَم الباب الرابع»

«وكيف سنغلقه؟»

« لا أعرف، حقًا لا زلت لا أعرف»

تبدّل صوت النداهة بالخارج، تحوّل لصوتٍ مُرعب صدئ وهي تسأله بشر: «هل يعرفون أنك في صف ديكاراب؟»

تجمد نجيب في مكانه وقد اصفّر وجهه للحظات قبل أن يُدرِك أنها تُخاطب حلمي الذي شحب وجهه





وتجمّد الدم في عروقه وهو ينظر لهم ويهز رأسه بخوف. كان نجيب يعرف جيداً أنها تكذب، لو أن حلمي يعمل لصالح ديكاراب كان نجيب سيعرف، هز حلمي رأسه بشدة وهو يقول: «كذب... كذب... كذب... إنها تكذب... تكذب»

نظر له الشيخ حلمي بصرامة وهو يقول: «هل ما تقوله تلك اللعينة صحيح؟»

هز حلمي رأسه بخوف. شعر نجيب أنه يجب أن يتدخَل، أمره ديكاراب أن يُساعدهم في إغلاق هذا الباب استعداداً للعنة الأخيرة بالغد، قال بحكمة: «بالطبع لا يا شيخ حلمي، لو أنه يعمل لصالح ديكاراب ما ساعدنا لإغلاق باب اللعنات»

شعر حلمي أنه غريقًا في بحر من شك، وقد ألقى له أحدهم بطوق نجاة من حكمة لم يكُن يتوقعه. كان يجب أن يتشبث به، هز رأسه وعيناه تتسعان هلعًا: «أجل، أجل... بالطبع.»

نظر الشيخ لنجيب وصاح به بصرامة: «اصمت أنت»

نظر لحلمي مرة أخرى وهو يسأله: «هل ما تقوله تلك اللعينة صحيح؟»





هز حلمي رأسه وهو يتراجع للخلف قائلًا: «لا، أقسم لك باللّه»

تبدلت ملامح الشيخ من فوره وهو يقول بطيبة أب: «أصدقك يا ولدي»

أبعد نجيب ستارة من خيش عن نافذة الكوخ وهو يسترق النظر منها بقلق قبل أن يشير للخارج وهو يقول: «لكنهم لا يصدقونه»

نظر الشيخ للخارج، كان أهل القرية مُتجمعين. أعتى إمارات الشر والغضب تتبدى جيداً على وجوههم. يحملون مشاعل النيران في أيديهم ويتجهون بخطوات بطيئة نحو كوخ الشيخ محمود، حيث يقبع حلمي!

* * *

وقف الشيخ محمود أمام الجميع وبجانبه وقف نجيب. رغم حجم نجيب الضئيل إلا أن أفعاله خلال الأيام الماضية جعلته يكسب ثقة هائلة في نفسه ظهرت على طريقة وقوفه. توقف الحشد حين وصلوا إلى المنزل، كانت الضحكات الساخرة الشريرة تتردّد حول القرية. كأن شيطانًا من ضحك يسكُنها، قال الشيخ بصوتٍ عالٍ: «هذه النداهة كاذبة»





قاطعه أحد الموجودين مُحتجًا: «لكنها لم تكُن تكذب حين قالت ما حدث مع ميرفت ومع نبيل»

ويبدو أن نبيل وجد في الأمر مُتنفسًا له ومهربًا من ورطته فصاح وهو يقف بجوار عمّار وسط الحشد: «بل هي كاذبة، لقد قُلت هذا فقط كي أهدئ الأمور فحسب، لكنني لم ألمس إسماعيل»

سأله أحد الواقفين لم يتبين الشيخ هويته بسبب الزحام: «لكن لماذا اعترفت على نفسك؟»

قال نبيل بذكاء: «كان يجب عليّ أن أنحني حتى تمُر العاصفة، كيلا تقتلعني من جذوري. وها قد ظهر الحق وانكشفت الحقيقة»

نظر للشيخ محمود باهتمام وهو يقول: «أليس كذلك يا شيخ محمود؟»

شعر الشيخ محمود أنه بين خيارين أحلاهمُا مُر، الاختيار الأول هو أن يُكذّب نبيل وبالتالي سيُثبت صدق النداهة، مما يعني أنها صادقة فيما قالت عن حلمي وأنه أحد أتباع ديكاراب، أو الاختيار الثاني وهو أن يُصدّق على كلام نبيل وبالتالي سيؤكّد على أنها نداهة كاذبة وحينها سيُنقذ حلمي من بين براثن أهل القرية. لكن حينها سيهرب نبيل ومدحت من العقاب.





وبمُنتهى الأسف اختار الاختيار الثاني، سامحًا لنبيل أن يهرب من عقاب يستحقه، لكن حلمي يستحق... القرية تستحق... وأهل القرية يستحقون.

صاح بصوتٍ عالٍ: «تلك النداّهة كاذبة، نبيل ومدحت أبرياء مما نُسِب إليهم، لا مُحاكمة في الصبح. اذهبوا للنوم وتجاهلوا تلك الحية التي تصب الأكاذيب صبًا في آذانكم»

قال نجيب مُقاطعًا: «بعد إذنك يا شيخنا، عليكم أن تصنعوا سدادات آذان من الخيش وضعوها في آذانكم. تجاهلوها، أميتوا الباطل بالسكوت عنه، لا تسمعوا لها، لا تهتموا لأكاذيبها، ناموا وفي الصباح سنرى ما سيحدُث..»

اقتنع أهل القرية قليلًا بما قيل خصوصًا وأنهم يثقون ثقة عمياء في الشيخ محمود وفي نجيب. وعلى الجانب الآخر فحلمي فعلًا كان يُقاتل في سبيل القرية ويُساعدهم في إغلاق أبواب اللعنات.

تجاهل الجميع صوت النداهة الكاذبة، سدوا آذانهم عن كذباتها وخلدوا للنوم في سلام.

نام أهل القرية جميعًا بهدوء وسلام وسدادات الخيش تسد آذانهم إلا واحداً فقط كان قلقه





يمنعه من النوم بهدوء. واحد فقط، كان يعرف أن النهاية ستكون بالغد.

في الصباح سيبدأ يوم فارق في تاريخ القرية، وحينها إما سيكون في صفوف الفائزين أو سيموت.

بالغد... لا مجال للخسارة.





## (١٢)

(يوم جديد)

كان الحل الأمثل هو تظاهُر الجميع أن ما حدث بالبارحة لم يحدُث. تجاهل أهل إسماعيل الأمر تمامًا، يعلمون جيداً أنه كان ينجذب للأطفال وطالما حذروه من الأمر، لكنه تجاهل تحذيراتهم المُستمرة فانتهى به الأمر ميتًا وملقيًا وسط غابة مُظلمة.

أما مدحت العطّار فتجاهل ميرفت تمامًا، كأنها ليست موجودة؛ بينما هي عكفت في محاولات مُستمرة لإصلاح الأمور بينها وبين زوجها. عاشور، الذي لم يُعجبه ما حدث ليلة البارحة. فهمه أن رضوخ الشيخ محمود لمحاولات نبيل ما هي إلا انبطاح أمام ثورة غضب أهل القرية. صمت بالأمس لأنه يعرف أن محاولاته للحديث أو الاعتراض كانت ستكون دربًا من الجنون. قرر أن يُحكّم عقله قليلًا ... حسنًا، يريدون أن يتناسوا الأمر، هذا أمر جيد، لن أعترض، هيا نتظاهر جميعًا بنسيان الأمر. لكنني لن أنسَ، سأنتظر اللحظة المُناسبة، وسأنتقِم.

لم ينم نجيب جيداً، بلغ التوتر مداه. كان زائغ العينين ينتظر لحظة النهاية. ينتظر الفوضى التي ستُمكنه من الانتقام من الشيخ محمود، الذي قتل





ابنته، حتى ولو كان هذا القتل بطريقة غير مُباشرة. حلمي لا يزال يشعُر بالخوف. يرتعد جسده كُلمَا تذكّر أهل القرية بالأمس وهُم ينتظرون الفرصة المُناسبة للنيل منه. عمّار وماجد غافلان عمّا يحدُث، لا يدريان أن اليوم سيكون يومًا فارقًا في تاريخ تلك القرية الصغيرة. كان الشيخ محمود يجلس على باب كوخه يتأمل القرية بأعين حزينة. وجلس حلمي بجواره وهو يقول: «هادئ أنت اليوم»

ابتسم الشيخ وهو يقول مازحًا: «وهل كُنت مُزعجا من قبل؟»

شعر حلمي بالارتباك وهو يقول: «حاشا للّه، لا أقصد طبعًا، أقصد أن هناك شيء غير طبيعي بك اليوم»

هز الشيخ رأسه وهو يقول: «أشعر أن القرية على وشك الفناء، مع كُل باب من أبواب اللعنات يموت شخص ما، أو يفنى، أو تنشأ مُشكلة من العدم. كُل يوم نخسر روحا جديدة أو نخسر شخصا جديدا»

قال حلمي: «وكُل هذا بسببي.»

نظر له الشيخ وهو يقول: «بل بسببي أنا»

شعر حلمي بالدهشة وهو يسأل: «كيف هذا؟»

«كُنت أحكُم القرية بالحديد والنار، كُنت ديكتاتورًا لا يُشَق له غُبار، وهذا صنع قرية هادئة. أو هكذا تبدو للشخص الذي ينظُر للأمر بسطحية، لكنني كُنت أعرف أن هناك غليان تحت السطح، هناك غضب هائل ينمو يومًا بعد يوم. كُنت أدعو اللّه أن أموت قبل أن يثور بركان الغضب ليحرق القرية بأكملها. أنت فقط كُنت الحافز، الحافز الذي ينتظره البُركان لينفجر ليس إلا»

كانت الشمس على وشك الغروب. القرية هادئة، يمارس أهلها حياتهم اليومية بملل. الروتين قادر على قتل الإثارة في كُل شيء، حتى لو كانت قرية بدائية تواجه شياطين من جحيم أتوا من باب اللعنات الذي فتحه غريب. الأمر كان مُمِل، يجب علينا أن نعمل في الصباح وليلًا تبدأ الإثارة. تبدأ اللعنة الجديدة مع غروب الشمس وتنتهي مع شروقها. في الحقيقة لا يعلم أهل القرية سوى ما يحدُث حين ينجح المُقاتلين في غلق باب اللعنات، حينها تهدأ البلدة وتمُر الليلة بأمان. لكن ما الذي سيحدُث حين سيفشل المقاتلين في إغلاق باب اللعنات. هذا شيء لا يعرفونه، ويتمنون لو أنهم لا يعرفونه.

وبمرور الساعات والدقائق، بدأت شوارع القرية الصغيرة تهدأ تمامًا. بدأ سُكّانها في العودة لأكواخهم وبيوتهم. تعلموا من الأيام السابقة أنه لا





مجال لتضييع الوقت. السُرعة مطلوبة ومُهمة، أغلقوا أكواخهم على أنفسهم، ظنوا أنهم بأمان، وأنهم مُستعدون للباب الجديد.

لكنهم لم يتوقعوا أبداً ما حدث عند اكتمال غروب الشمس.





(١٣)

(عادوا)

بدأ الأمر بطرقات بسيطة على باب الكوخ الخشبي. طرقات خافتة كأنها نابعة من يد مُرتعشة لشخص خائف. ولأن الشمس قد غربت وعلى الأغلب كان باب اللعنات الخامس قد فُتِح. تجاهل المندوه هذه الطرقات، تبادل النظرات مع زوجته في خوف. كانت تجلس على مقعد خشبي صغير في رُكن الكوخ، بينما يجلس هو على الأرض خلف الباب، يستند بظهره على الباب الخشبي. وقفت وهي ترتعد بشدة، حاول أن يُهدئها بابتسامة لكنه ابتسّم بتوتُر زاد من قلقها وخوفها. شعر أنه خائف بدوره، قام من مجلسه ومشى نحوها بخطوات مُتردِّدة. احتضنها برفق فاستكانت بين ذراعيه وهي تضع رأسها على صدره. تستمع لدقات قلبه المُرتجفة وتحاوِل أن تستمِد منها الأمان.

بدأ صوت الطرقات يتزايد. ردد صمت القرية صوت طرقات على جميع أبوابها، كُل باب في القرية كان يُطرَق، وبتتابع مُذهِل يجعل أهل القرية كُلٍ يُفكّر كل في نفسه فقط. توتّر المندوه وهو ينظُر للباب، الذي صدَر عنه صوت طرقات مُتتابِع يزداد قوةً. كان





الطارق لحوحًا، ومع مرور الوقت ينفد صبره وتزداد طرقاته قوة.

قرر أن يتجاهل الطارق، لكن الطارق قرر أن ينقل الأمر لمرحلة أخرى. سمع صوتًا أنثويًا يسأله بوهن من خلف الباب: «هل ستتركني بالخارج طويلًا؟»

تجمّد الدم في عروقه حين سمع صوتها، أبى قلبه أن يدُ مرة أخرى. كاد ينهار ذعرًا، كان جسده بأكمله يرتعد وهو ينظر لزوجته. عرف من نظرة الهلع التي تبدو جلية في عينيها أنها ميزت الصوت وعرفت صاحبته. كانت إلهام، هذا هو صوت إلهام، في أي موقف آخر أو في ظروف أخرى كان سيكون أسعد شخص في العالم. لكن هنا والآن، وفي مثل تلك الظروف كان يرتجف هلعًا ويكاد يموت ذعرًا.

لماذا؟

لأن إلهام ماتت منذ أربعة سنوات.

إلهام كانت شقيقته الصغرى، لكنه لطالما اعتبرها ابنته لأن والدهم مات وهو صغير. وتحوّل المندوه لأب وشقيق أكبر، لكن مرضًا شديدًا أصابها، ومع سوء الرعاية الطبية وافتقارهم للأدوات اللازمة لمواجهته. لم تستطع إلهام بجسدها الرقيق أن تصمُد كثيرًا أمام المرض، وسُرعان ما توفاها اللّه.





لم يستطيع المندوه أن يودعها خصوصًا وأنهم عزلوها خوفًا من أن يكن مرضها مُعديا. كان يدعو اللّه دومًا أن تتح له فرصة لتوديعها. أية فرصة مهما كانت، لكن هنا والآن وفي مثل تلك الظروف، كان الأمر مُستحيلًا، ومُخيفًا.

لن يُخاطِر بفتح الباب أمام تلك الروح العائدة. لا يعرف هل هي إلهام بالفعل أم أن كيانًا شريرًا يتقمص دورها وينتحِل شخصيتها كي يخدعه وينال منه.

وفي الحقيقة كان هناك شيئًا آخرًا لم يعرفه المندوه. لم يكُن يعرف أن أكواخ القرية بالكامل تدُق أبوابها ونوافذها، يقف على عتباتها أرواح عائدة من الموت. العائدون يملؤون القرية، يطرقون الأبواب وينادون على ذويهم.

لكن أهل القرية كانوا قد نالوا كفايتهم من اللعنات، الحذر كان هو المُحرِّك الرئيسي والأساسي لكافة الأمور، لذا لم يُخاطِر أحدهم بفتح بابه أمام فقيده العائد من الموت. اكتفوا بالنظر من النوافذ ليراقبوا الوضع، كُل منهم يرفض أن يكون أول من يفتح بابه أمام الأرواح. ينتظر أن يتجرأ غيره ويفعلها، حتى يلقون عليه اللوم في حالة سوء الأمور.





رغم أن قلوبهم كانت تحترق شوقًا، يريدون أن يروا مُحبيهم، أن يشبعوا منهم، أن يستغلوا الفرصة التي منحها إياهم القدر ليروهم ويودعوهم مرة أخرى؛ كانوا يخشون المُخاطرة ويرفضون المُجازفة.

ولم يختلف كوخ الشيخ محمود كثيرًا عن أكواخ القرية. كان أحدهم يطرق باب الكوخ، طرقات خافتة مُرتعشة، نظروا جميعًا لبعضهم البعض، الكُل ينتظر أن يسمع صوت الموجود بالخارج، قال عمّار: «أيًا كان الموجود أو الموجودين بالخارج، لن نفتح الباب أبدًا»

هز نجيب رأسه وهو يقول بأعين مليئة بالدموع: «حتى لو كانت ابنتي، لن نفتح الباب»

أنهى جُملته وهو يجهش بالدموع ويدفن وجهه بين يديه، ربت ماجد على كتفه مواسيًا وهو يقول: «وأنا أيضًا موافق على هذا القرار»

مسد الشيخ حلمي لحيته وهو يقول: «حسنًا، وأنا أيضًا لا أمانع الأمر»

نظروا جميعًا لحلمي الذي رفع كتفيه في لا مبالاة وهو يقول: «ليس دي أصدقاء أو أقرباء هنا، فالطبع لا أمانع»





شعروا أن الأمور ستسير على ما يُرام، طالما هُم بالداخل والأرواح العائدة من الموت بالخارج. سيكونون في أمان، هناك عقبة واحدة لكنهم بأمان حتى الآن، طالما جميع أبواب أكواخ القرية مُغلقة.

صوت الطرقات يزداد حدة وقوة على باب كوخ الشيخ حلمي، لم يكُن أحدهم يتوقع من الطارق. ولم يكُن أحد منهم يتخيّل، لكن حين سمعوا صوت العجوز المُسنة التي تقول بألم: «هل ستتركني وحيدة بالخارج يا ولدي؟»

ارتعدت قلوبهم جميعًا، صوتها كان مليئًا بالحُزن والألم. ورغم أن واحداً منهم فقط هو الذي ميّز صوتها، لكنهم تعاطفوا معها جميعًا. ولو أن الأمر بيدهم لسمحوا لها بالدخول. الوحيد الذي تراجع للخلف بخوف هو ابنها، كان هذا هو الشيء الأخير الذي لم يتوقعه. لم يتوقع أبداً أن يسمع صوت أمه هنا، لأن هذا له معنى واحد، أنها عادت من الموت.

وهذا يعني أنها ماتت قبل أن يصل لها!

كررت سؤالها: «هل ستتركني وحيدة بالخارج يا حلمي يا ولدي؟»





نظروا له جميعًا وهو يرتعد، ربما خوفًا وربما حُزنًا. كانت تلك هي اللحظة التي تأكّد فيها أن والدته توفيت، قبل أن يصل لها. كانت تلك هي اللحظة التي عرِّف فيها وأدرك أنه انشغل بأمور القرية وأهلها وباب لعناتها لدرجة أنه نسي أمه المريضة التي على ما يبدو ماتت.

وعادت من موتها لتعاتبه أقسى عتاب.

* * *

نظر المندوه لزوجته، كان يريد أن يرى إلهام. يريد أن يودعها، لم يراها حين ماتت، أو لنكُن أكثر دقة، رفض أن يراها حين أخبروه أنها ماتت. لم يكُن قلبه يتحمّل، لكنه ندم على هذا القرار، كلّ يوم يمُر عليه في هذه الدنيا يزداد ندما. يتمنى لو كان قد استطّاع التغلُب على مشاعره وأحاسيسه، يتمني لو كان نظر لها مرة أخيرة، رباه... كم أوحشته.

خرج من بين أحضان زوجته، مشى نحو الباب ببطء. أمسكته من يده، استسلم لها، كان قلبه حائراً، يريد أن يرى إلهام. يريد أن يودعها، أن يحدثها ويسمعها، لكنه يخشاها. هي عائدة من الموت وهذا بأي حال من الأحوال ليس أمرًا مُطمئنًا.

ترك نفسه بين يدي زوجته، قلبه يكاد يخترق ضلوعه. في النهاية كان قد حسّم قراره. ترك الغلبة لقلبه على حساب عقله، انسل من بين يديها، تركته. لم تقدر على منعه، بخطوات بطيئة مُرتعشة مشى نحو الباب. وضع يده على مقبض الباب وأداره، فتح الباب ببطء. وكأن الباب يحتج على قراره هذا، أصدر صريرًا خافتًا.

توقّع أن يراها...

لكن الذي يراه الآن لم يكُن يتوقعه على الإطلاق.

* * *

تراجع حلمي مُرتعداً إلى أن شَعَر بحائط الكوخ يصطدم بظهره ليمنعه عن مزيد من التراجُع. بالكاد تحمله قدماه. ترك جسده يسقط أرضًا وهو ينظر لباب الكوخ بأعين مُتسعة. حول نظراته نحو الشيخ محمود وهو يسأله في ذعر: «هل... هل يعني هذا أنها ماتت؟»

قال الشيخ محمود سريعًا: «كُلنا سنموت يا ولدي»

لكنه أدرَك فداحة ما قيل بعد أن قيل. بعد أن فات أوان تعديل نصاب الأمور أو محاولة تحسين الكلام، حاول أن يُبرر ما قال، فاستكمَل: «لكن الشيء





الموجود بالخارج ربما يكون شيطانًا. ربما تكون والدتك ما زالت حية تُرزق يا ولدي»

لاحظ أنه استخدم كلمه (ربما)، شَعَر أنه كُلما حاول أن يهدئ من روع حلمي، زاد من قلقه وخوفه. اعتذر مُغمغمًا: «آسف»

وقف حلمي، علامات الغضب والإصرار بادية على وجهه. اندفع نحو الباب ببطء. كانت سُرعته تزداد تدريجيًا مع كُل خطوة يخطوها نحو الباب. اندفع ماجد وعمّار ليقفا في طريقه، يحاولان منعه من فتح الباب. أمسكوا بذراعيه وجذبوه للخلف، بعيدًا عن الباب. كانا أقوياء، لكن غضبه كان أقوى. جذبهم للأمام، اندفع بهم، بخطوات بطيئة للغاية لأنه أثقلا وزنه وقيدا حركته، وصل إلى الباب، كان عليه أن يتخلص منهما.

سمع صوتها من خلف الباب وهي تقول: «تركتني أموت وحيدة، تركتني أموت وسط أشقائك»

«لم أكُن أقصد»

«تركتني وسط القسوة والحقد. حرمتني من حنانك بعد أن أغدقت عليك بحناني»

«لم أكُن أقصد»





«رموني في قبر مُظلم دون أن أرك بعد أن أضعت عُمري كُله في مُساعدتك وحُبك»

«لم أكُن أقصد»

«والآن... ترفُض أن تفتح لي الباب، ترفض أن تراني وتودعني. رفضت أن تأتي لي، ورفضت أن تستقبلني حين أتيت لك»

«انتظري يا أمي، انتظري»

سمعوا صوت الخطوات تبتعد، مُحملة بحُزن، مُثقلة بألم، ومليئة باليأس. حاول التخلُص منهم بقوة، صرخ. شتم. سبّ. لعن، لكنهم منعوه. قال الشيخ بصوتٍ هادئ وهو يستمع لصوت الخطوات الذي كاد يتلاشى: «لقد رحلت يا ولدي. سواءً كانت والدتك أو شيطانًا مريدًا، انتهى الأمر»

هدأ حلمي قليلًا، ترك جسده يسترخي. اطمئنوا فتركوه، تنفس بعُمق، ابتعدوا عنه. وكان هذا خطئًا لا يُغتفر. جرى نحو الباب فجأة وفتحه في حركة سريعة وهو يخرج من الكوخ، قبل أن يمنعه أحدهم أو يُمسِك به. نظروا للباب المفتوح في خوف وتردُد، قال نجيب بثقة: «انتظروا هنا، لا يخرج أحدكُم، أنا سأخرج وإن شاء اللّه سأعود به سالمًا»





كان يقف وسط شوارع القرية يتأمل الشوارع الخالية. يسمع الطرقات والأحاديث الجانبية لكنه لا يرى شيئًا، يبحث عنها بعينيه لكنه لا يرى.

في النهاية سمع صوتها يناديه بخفوت: «حلمي»

نظر نحو مصدر الصوت، وجدها تقف على أطراف الغابة، تنظر له بأعين مقتولة حزنًا. كانت شاحبة، كانت تبدو وكأنها من صُنع خياله، تبدو وكأنها شبحًا.

لكنه تجاهل كُل هذا وهو يُسرع الخطى خلفها. تجاهل كُل شيء من حوله، حتى صوت الخطوات السريع الذي يقترب منه. لكنه انتبه حين شعر بالضربة القوية التي هوت على مؤخرة رأسه. انتبه حين بدأ الظلام يسيطر على كُل شيء، انتبه لكن بعد فوات الأوان.

* * *

أمام المندوه كانت تقف إلهام. أو بمعنى أدق، ما تبقي منها، كانت تقف أمامه مُتحللة. وجهها شاحب، شعرها مُتساقِط يكشف عن رأس تقشّر الجلد عن أغلبها. سقط أنفها وترك مكانه لحفرة سوداء ضخمة. أعينها ذابلة اختفت منها لمعة الحياة، فستانها ممزّق من عدة أماكن، بشرتها



الشاحبة تكشِف عن عروقها الزرقاء الباهتة تحتها. عروق لا تجري بها أية دماء، ابتسمت بسُخرية حين فتح الباب، وكأن هذا هو ما تنتظره.

تراجع المندوه وهو يشهق بعُنف، سألته زوجته من خلفه: «ما بِك؟»

سألها بخوف وهو يرتعد: «ألا ترينها؟»

قالت بقلق وهي تحاول أن تنظُر إلى ما ينظر إليه: «لا أرى سواك تحدّق في الباب المفتوح»

أشار إلى أخته بيد مُرتعشة وهو يقول: «ها هي تقف أمامي»

نظر الزوجة، لكنها لم تر سوى فراغ فحسب. زوجها ينظر للفراغ الموجود أمامه خلف الباب المفتوح وهو يرتعد هلعًا، قالت له بقلق وتوتر: «لست أرى شيئًا، هل أنت بخير؟»

تجاهل زوجته تمامًا، يكفيه ما يراه. قالت له إلهام بصوتٍ عفن: «لن يرني سواك»

شهق بعُنف حين سمع الصوت المُخيف، حاول أن يستجمع البقية الباقية من شجاعته وهو يسألها: «ماذا تريدين؟»





«تركتني أموت، والآن علىّ أن أقودك للمصير الذي تستحقه»

«لم يكُن الأمر بيدي!»

«حقًا؟ حتى لو افترضنا أن الأمر لم يكُن بيدك، لماذا لم تودعني، لماذا لم تكُن بجواري في أشد لحظات حياتي قتامةً؟»

«لم أقدر»

«حسنًا، حان وقت المُعاملة بالمثل»

«لا أستحق منك هذا»

«وأنا لم أستحق منك ما فعلت»

اقتربت منه بخطوات سريعة. كانت تبدو كأنها تطفو فوق الأرض، لا تلمس الأرض بقدميها. أمسكته من رقبته بقوة، كانت قبضتها قوية، بدت أصابعها كأنها تتمدد حول رقبته. تعتصر عنقه اعتصارًا، تنتزع الحياة منه. ازرق وجهه وهو يحاول التملُص من قبضتها القوية، لكنها كانت الموت، وهو لم يكُن أقوى من الموت.

صرخ صرخة خافتة وهو ينظر لزوجته بخوف. زوجته التي لم تر سوى وجهه يزرّق وهو يحاول أن يتنفس





لكن شيئا يمنعه، كان يُصارع الموت الذي لا تراه. سقط أرضًا وقد فارق الحياة. لم تحتاج شيئا للتأكُد، كانت تعرف يقينًا أنه مات. وكانت تعرف أنها على وشك أن تلحق به، شعرت بدرجة حرارة الكوخ بأكمله تنخفض. كادت تتجمّد، أغلقت عينيها وهي تتمتم بأدعية بصوتٍ خافت، شعرت بها... بتنفسها... بوجودها.

فتحت عينيها ورأتها للمرة الأولى، وحين رأتها صرخت صرخة قوية رددها صمت القرية بأكملها.

صرخة وحشية لم تتحملها قلوب شجعان القرية التي ارتجفت بعُنف داخل صدورهم.

* * *

أفاق حلمي من غيبوبته. تذكّر ما حدث فلم يُحرِّك رأسه أو يفتح عينيه، ظل على وضعه. وبدأ يكتشف ما يحدُث، أول ما لفت نظره هو أنه مُقيّد إلى جذع شجرة. مُقيّد بشكل بدائي لأن باستطاعته أن يُحرّك يديه تحت الحبل المربوط به، رأسه يؤلمه بشدة وهذا أمر طبيعي بسبب الضربة القوية التي تلقاها، تذكّر الآن أنه لم ير وجه الشخص الذي هاجمه.





وبعد قليل من التركيز تذكّر والدته. كان أمام خيارين عليه أن يختار أحدهما سريعًا، أن يفتح عينيه ليرى ما يحدُث حوله خصوصًا وأنه يشعر بحركة خافتة حوله، أو أن يظل في نفس الوضع مُنكس الرأس ليدرس الوضع من حوله أولًا. سمع صوت يقول بسُخرية: «المفروض أن نقتنع أنك ما زلت فاقدًا للوعي؟»

عرف أن خطته قد انكشفت، لم يعُد أمامه سوى أن يفتح عينيه ليواجههم. لكنه ورغم الصُداع العنيف الذي يكاد يشُق رأسه أدرك أن الصوت الذي يُخاطبه هو صوت مُميّز. يعرفه جيدًا ويعرف صاحبه. فتح عينيه ببطء وهو يتأمل الموجودين أمامه، كان يقف ثلاثة أشخاص. يعرف اثنين منهما ولا يعرف الآخر. لكنه ومنذ النظرة الأولى أدرك أن هُناك شيئًا خاطئًا بخصوص الشخص الذي لا يعرفه.

يبدو وكأن غيمة من اللون الرمادي تطوف حوله بجنون، تتحرّك حوله بسُرعة وبعشوائية، لم يفهم ما يراه. لكنه فهم جيدًا أنه كان مُحقًا حين اعتقد أنه يعرِف صاحب الصوت الذي خاطبه. كان نجيب يقف أمامه وهو يبتسم بسُخرية، انعقَد حاجبا حلمي وهو ينظر لنجيب، الذي بدت علي وجهه علامات الغضب مُمتزجة بسُخرية لم يفهمها. سأله بدهشة: «أنت يا نجيب!»





«نعم أنا يا حلمي»

« لماذا؟ »

«هل هذا من شأنك؟»

« حسنًا. لأكن صريحا لا، لكنني خدعت فيك»

« أنا أيضًا خدعت فيك، كُنت أتوقع أنك أذكى من ذلك»

« أذكى؟ ماذا تقصد؟»

«هل تعرف كيف دخلت للقرية يا حلمي؟»

«أجل، كُنت أقود سيارتي في عاصفة مُمطرة ولمحت رجلين يرتديان جوالين من الخيش يقفان في مُنتصف الطريق. حاولت تفاديهما فانقلبت سيارتي، فقدت الوعي وحين أفقت وجدت نفسي داخل القريـ....»

أدرك حلمي أن هناك حلقة مفقودة في قصته فصمت. نظر للشخص الغريب الذي يقف خلف نجيب وهالته رمادية اللون تدور حوله سريعًا، نظر نجيب للغريب وهو يسأله: «هل سنخبره نحن، أم سيُخبره هو؟»





توقفت الهالة الرمادية عن الحركة حول الكهل. بدأت تتغلغل في مسامه وتحتل جسده، تشنج جسد الكهل وارتعش، بالكاد حافظ علي توازنه ليظل واقفًا، لكنه كان يتشنج بعُنف، عيناه تنقلبان، يختفي إنسان عينيه ويحتل البياض أغلبهم. لم يختفي بالطبع وإنما صعد مُختبئًا أسفل الجفن العلوي. في النهاية توقف جسده عن الارتعاد، ظهرت علامات ثقة غريبة وغير مُبرّرة على وجه الكهل الذي فتح شفتيه ليصدر عنهم صوتًا مُخيفًا، أجش صدئ، يحتل الشر والحقد كُل جُزء فيه وهو يقول: «اركعوا لي أيها الفانون، اركعوا لسيدكُم وإلهكم، اركعوا لديكاراب»

ميّز حلمي الاسم فورًا. عرِف أنه في حضرة الشيطان، يعرف نجيب الخائن، والأب المكلوم الذي حكم على طفله بالإعدام، لكنه لم يعرف الشخص الذي يحتل الشيطان جسده. ركع الرجلان تحت قدمي الكهل الذي كان يطل الشر من عينيه. ديكاراب يحتل جسده، نظر لحلمي الذي قال بسُخرية: «آسف، لا أستطيع أن أركع، بسبب...»

صمت وهو ينظر للحبال التي تُقيده في جزع الشجرة ويقول: «كما ترى، ربما في المرة القادمة»

صرخ به الشيطان: «اصمت»





مط حلمي شفتيه وهو يقول: «حسنًا»

وقف الراكعين وهم يقفون بتبجيل أمام الكهل المُلتحف بغيمة رمادية اللون. عرف فيها حلمي ديكاراب، وفهم وأدرك أن تلك هي وسيلته للظهور، يحتل جسد الكهل حين يريد التحدُث ويخرج منه حين ينتهي الأمر، لكن السؤال الذي احتّل عقل حلمي الآن هو: هل يستطيع هذا الشيطان أن يحتل جسد أي بشري يريد، أم أنه يحتل هذا الكهل لأسبابٍ مُعينة.

وكأن ديكاراب قرأ أفكاره، بدأ يتحدث قائلًا: «هذا جسد مُساعدي الأول، المغلاوي، حاكم القرية الجديد وملك الأرواح التائهة»

فَهِم حلمي الأمر، قال بلهجة من أدرك أخيرًا: «مغلاااااوي»

هز رأسه وهو يقول: «حسنًا، حسنًا... فهمت. هذا هو مغلاوي الساحر الخبيث الذي تم نفيه من القرية»

أشار برأسه إلي الأب المكلوم وهو يقول: «وهذا هو الأب المنفي من القرية، ونجيب الخائن الذي لا أفهم أسباب خيانته بعد»





صرخ به ديكاراب بخشونة: «صمتا»

رفع كتفيه وهو يقول: «حسنًا»

ابتسم نجيب وهو يقول: «أنت غبي، لم تسأل نفسك أبداً كيف دخلت للقرية. انقبلت سيارتك وسط الغابة، فكيف دخلت القرية؟»

نظر حلمي إلي ديكاراب وهو يسأل: «هل مسموح لي أن أتحدث؟ لأنني كُلما تحدثت تصرخ بي»

اشتعل الغضب في عيني ديكاراب، شعر حلمي بهذا فقرر أن يجيب نجيب: «ربما تكون السيارة انقلبت بجوار القرية، ووجدوني بداخلها»

وضع نجيب يده على وجهه وهو يقول: «أنت أغبى مما اعتقدت، حسنًا... لنفترض أن نظريتك صحيحة، أين سيارتك؟»

فكّر حلمي في إجابة لسؤال نجيب، لكنه لم يجدها فقرر أن يصمت. قال نجيب: «أنت قُلت بلسانك أنك رأيت رجلان يقفان في انتظارك على الطريق وسط العاصفة. لكنك لم تُميّز ملامحهما بسبب الظلام، كان هؤلاء هُم المغلاوي وأحد المُشردين الذي وجده وأقنعه بأداء هذا الدور مُقابل مبلغ نقدي. لكنه انتهى به الأمر كقربان لديكاراب، الدماء





البشرية هي أفضل دماء لتقديم القرابين، هذه معلومة لم أكن أعرفها ولا أظن أنك تعرفها»

رفع حلمي حاجبيه في دهشة وهو يقول: «حسنًا، لم أكُن أعرفها بالفعل»

أكمِّل نجيب حديثه: «جرا إياك من أقدامك واقتادك للقرية. ألقيا بك بداخلها كي يتأكدوا أن أول شروط بدأ اللعنة قد حدثت»

« لكنك تُدرِك أنني كما فتحت باب اللعنات، سأغلقه. أليس كذلك؟»

تأمله نجيب بأعين ساخرة وهو يشير للحبل الذي يقيده وهو يقول: «لا أعتقد أنك قادر على القيام بهذا الآن، كما أنني بكُل تأكيد نسيت أن أخبرك أنني سأقتلك قبل أن تغلقه»

راقبه حلمي بأعين مُتسعة من شدة الذعر وهو يُخرج خنجراً من جيبه ويتجه نحوه وشيطان الشر يتراقص في عينيه.

* * *

اقترب نجيب من حلمي الذي حاول أن يتحرر من قيده. ورغم استهانته به في البداية إلا أنه كان





أقوى مما كان يتخيّل. اقترب منه نجيب للغاية. وضع الخنجر على رقبته. كاد حلمي يبكي خوفًا لكنه حاول أن يتظاهر بالتماسُك. شعر بالطرف الحاد من السكين يمُر فوق رقبته ببطء، أغلق عينيه وهو يهمس بالشهادة، كان قد أيقن أن لحظاته في الدنيا معدودة، دعا ربه أن يُرسِل له ملاكا حارسا.

لكنه لم يدري أنه سيكون محظوظًا وأن القدر سيُرسل له اثنين بدلًا من واحد.

سمع صوتًا رقيقًا يقول بخوف: «انتظروا»

فتح عينيه ونظر نحو مصدر الصوت. رآها تقف وسط الغابة المُظلمة، تواجه شيطانًا، ساحرًا، خائنًا ومكلومًا بمُفردها. فقط من أجله، كان جسدها الرقيق يرتجف وسط الغابة والظلام يُحيط بها، تُمسِك بيدها فرع شجرة مُدبب الرأس.

يعرف جيدًا كما تعرف هي أن سلاحها بلا فائدة أمامهم، لكنها كانت تُحبه، والحُب يغلب الخوف، يقتله ويبدله، لكنه لن يسمح لها بمثل هذا التصرُف، صرخ بها بصوتٍ عالٍ: «ارحلي، اذهبي من هنا»

نظرت في عينيه بهدوء وهي تقول: «لن أتركك، سنمت سويًا »





ظهر الغضب على وجهه وهو يقول: « اذهبي من هنا يا حسناء، أرجوكِ، لا تكني غبية «

« لو كان الحُب غباء، فأنا أغبى كائنات الأرض»

تنحنح نجيب في نفاذ صبر وهو يقول: «حسنًا، لا وقت لتلك المشاعر البلهاء. هل تُحب أن تمت أمامها أم تُحب أن تمت أمامك؟ «

قاطعهم صوتٍ آتٍ من وسط الغابة يقول بصرامة: «نسيت الخيار الثالث، أن تموتوا جميعًا أمامنا»

من بين الشجيرات خرج رجل تبدو عليه علامات الوسامة، حليق الذقن مُرتب الشعر، يرتدي جلبابًا أبيض نظيف، نظروا له جميعًا ببلاهة، لم يكُن أحدهم يعرفه، لكن ديكاراب عرفه وميزه، عرف فيه عدوه القديم وأكبر خطر يُهدده، وبصوتٍ يحمل غضبًا لا مثيل له نطق اسمه: «أحمد الشتيوي»

نظر نحوه الرجل ببطء قبل أن يبتسم ويقول: «يا مرحبًا يا مرحبًا، صديقي القديم مغلاوي عندنا، يا لها من فرصة سعيدة»

نظر نحو حلمي وحسناء ونجيب وهو يقول: «مساء الخير»





بادلوه التحية بذهول وهم لا يفهمون ما يحدث قبل أن يستوعب حلمي ما حدث وهو يقول: «أحمد الشتيوي. هل أنت أحمد ابن العُمدة، الذي اختار خوض معركة الدفاع عن القرية قبل أن يختفي تاركًا خلفه تحذير مُخيف؟»

ابتسم أحمد ولم يُجبه، لكن ديكاراب سأله بفضول: «أين كُنت يا صديقي القديم، افتقدتك»

ابتسم أحمد بسُخرية وهو يقول: «لكنني لم أفتقدك أبدًا، صدقني»

«يبدو أنت أتيت مُتأخرًا، الحفلة على وشك أن تنتهي»

أخرج أحمد من يده من جيب جلبابه وهو يلقي بخنجرين في مرة واحد. أصاب كل منهما هدفه بدقة، سقط نجيب والأب المكلوم أرضًا وقد اخترق خنجر عُنق كُل منهم. نظر أحمد لهم بسُخرية وراقب دمائهم وهي تسيل على الأرض حول الجُثث ويقول: «حسنًا، يبدو أن الحفل على وشك البدء»

نظر نحو مغلاوي التي بدت عليه علامات الدهشة وهو يقول: «آسف يا صديقي. بضع مهارات تعلمتها أثناء غيابي، كانت ضرورية لتعديل الكفة كما ترى»





استغلت حسناء الفرصة وأفاقت من دهشتها سريعًا وهي تُحرر حلمي من قيده. احتضنها بقوة، كانت المرة الأولى التي يحتضنها فيها، تركت نفسها بين يديه. شعرت بالعالم ينهار من حولهما، كُل شيء يذوب في إناء من حُب، لكنه سُرعان ما خيّب ظنها وتركها من بين يديه. أمسك وجهها، احتضنه بين راحتي يديه وهو يقول بلُطف: «حبيبتي.. عليكِ أن ترحلي»

«لن أتركك وحيدًا أبدًا»

لكن صوت ديكاراب الغاضب قاطع لحظتهما الرومانسية وهو يقول لأحمد: «أين كُنت أيها الوغد؟»

نظر له أحمد بسُخرية وهو يقول: «كُنت في مُهمة تدريب، قضيت أعوامًا أقاتل الشياطين وأطارد القادمين من الجحيم. قضيت كُل لحظة في حياتي أستعد له ولمواجهتك. وأظن أنني أخيرًا مستعد لهزيمتك وإرسالك إلى الجحيم»

قال ديكاراب بغضب: «تريد أن تلعب؟ حسنًا لنفعلها بطريقتي إذن»

انسلخ ديكاراب عن جسد المغلاوي. كان يدور حولهم جميعًا في دوائر غاضبة بجنون. شعروا




بالبرودة، بغضبه وجنونه، سمعوا صوت ديكاراب يأتيهم من كُل مكان حولهم وهو يأمر تابعه الوحيد الذي ظلّ على قيد الحياة: «مغلاوي.. اقتلهما وإلا نالتك غضبتي»

ودون تفكير بدأ مغلاوي يركض نحوهما. سمعوا صوت أحمد يقول بصرامة: «لا تعودا، أعرف كيف أتخلص من هذا الوغد، لكن عليكما أن تقتلا مغلاوي. احرصا على فعلها مهما كلف الأمر، سأرسل ديكاراب للجحيم. لكن إذا ظلّ مغلاوي حيًا سيعرف كيف يأتي به إلى هنا مرة أخرى، عليكم أن تتخلصا منه كي نتخلص من تلك اللعنة»

صمت قليلًا قبل أن يُضيف وهو يلتفت لمواجهة الكيان الرمادي: «للأبد»

نظر حلمي لمغلاوي الذي كان يعدو نحوهم وهو يخرج من بين طيات ملابسه سيفًا ضخمًا قبل أن ينظُر لحسناء بخوف وهو يقول: «اهربي... الآن»

أثناء عدوهم سمع صوت أحمد يُردد شيئًا بلغة بم يميزها لكنه توقّع أنها لاتينية. سمع صوت ديكاراب يصرُخ بألم. رأى ضوء غريب يصدُر من مكان صراعهما، لكن سيف مغلاوي كان يقترب والمسافة الموجودة بينهما كانت تتضاءل؟ ركض وهو يجذب حسناء من يدها، صوت زئير ديكاراب الوحشي كان





يزداد وصراخ أحمد باللاتينية كان يقوى. ولأن حلمي لا يحفظ الغابة مثل سُكّان القرية كان يتخبط كثيرًا أثناء العدو والركض. وحسناء رغم أنها تعرف الغابة وتحفظها عن ظهر قلب إلا أنها شعورها بالخوف كان يشلها تمامًا.

تركته يجذبها من يدها وهو يعدو. ورغم أنهما في ظرف لا يسمح لهما بالرومانسية، إلا أنها كانت تنظُر له برومانسية، فارسها الشّجاع الذي يُمسِك بيدها وهو يهرب من رجل شرير. حسنًا... هذا ليس فارس أحلام العديد من الفتيات، لكنه يكفيها. كانت تنظر له بوله أثناء عدوهما. وكانت النتيجة أن قدمها علقت بأحد أغصان الأشجار الساقطة أرضًا. سقطت أرضًا بعُنف. آلمتها قدمها بشدة، تأوهت ألمًا. توقف حلمي وهو ينظر لها، قالت بألم: «اهرب... اهرب»

ظهرت علامات الحيرة والتردُّد على وجهه وهو يقول: «لن أتركك أبدًا»

«عليك أن تذهب»

«ليس بدونك»

اقترب منها وهو يحملها برفق، مشي بها وسط الغابة ببطء. سمع صوت أقدام تقترب منه سريعًا.





لم يُمهله مُتتبعه أن ينظُر خلفه أو حتى يستعد به، شعر بضربة قوية على مؤخرة عنقه. سقط أرضًا بقوة، سقطت هي من بين يديه، تأوهت بألم حين ارتطم جسدها الرقيق بالأرض بعُنف. نظر خلفه وهو ساقط أرضًا، كان مغلاوي قد تتبعه وضربه بقبضة السيف على رأسه. كان مغلاوي يقف فوقه تمامًا، بينما حلمي ساقط أرضًا على مؤخرته يحاول الفرار. بينما تتأوه حسناء بألم بجواره، ابتسم مغلاوي بسُخرية وهو يرفع سيفه عاليًا. أغلق حلمي عينيه وهو يُردّد الشهادة بهمس. صرخ مغلاوي بعُنف وهو يهبط بالسيف على قلبه. أغلق حلمي عينيه وهو ينتظر أن يشعُر بألم اختراق حد السيف جسده. لكنه لم يرها وهي تتحامل على نفسها وتقف سريعًا مُستندة إلى جذع شجرة عجوز. لم يرها وهي تلقي بجسدها الرقيق في الهواء فوق جسده. لم يرى نصل السيف وهو يخترق جسدها الرقيق وينغرس في قلبها ليخترقه تمامًا قبل أن يخرج من ظهرها وينغرس في كتفه بقوة.

صرخت بألم. فتح عينيه ورأي السيف يخترق صدرها، تألم وهو يركُل المغلاوي بقدمه بقوة. سقط مغلاوي أرضًا، جذب حلمي السيف بقوة، صرخ وهو يخرج من جسده، كان حريصًا ألا يُخرج النصل من صدرها حرصًا على ألا يصيبها نزيفًا.





أمسك جسدها برفق وهو يضعها أرضًا. وقف وهو يشعر بالدوار يصيبه، المجهود الذي بذله خلال الأيام الماضية كان أكبر من أن يحتمله أو يقدر عليه. هذا بالإضافة للدماء التي ينزفها الآن وبغزارة، حاول المغلاوي أن يقف مرة أخرى، لكنه تحامل على نفسه. بالبقية الباقية من قوته ركله ليطرحه أرضًا مرة أخرى.

أمسك بحجر ضخم على الأرض وسقط فوق جسد المغلاوي ليثبته أرضًا تحت ثقل وزنه، ضربه بالحجر بقوة. ثم تابعها بضربة أخرى، وأخرى، وأخرى. ترك عقله جانبًا وسمح لغضبه أن يتولى هو زمام الأمور.

لم ينتبه لجُمجمة المغلاوي التي تحطمت تمامًا، لم ينتبه لتوقف أصوات أحمد وديكاراب، لم ينتبه لشيء سوى لصوتها الرقيق وهي تناديه: «حلمي»

وقتها عاد له عقله، انتبه لجُثة المغلاوي. ألقى الحجر جانبًا وهو ينظر للدماء التي لوثت يديه بالكامل. مسح قطعة من مُخ المغلاوي المُتناثر على وجهه وهو يقف. نظر لها، كانت قد نزفت بشدة. كانت تعلم مثلما يعلم أنها النهاية، اقترب منها وهو شعر بالدوار يزداد. بالكاد يقوى على الوقوف أو الحركة، سقط أرضًا بوهن. زحف وصولًا لها، رفع رأسها عن الأرض برفق. مسح خيط الدماء الذي كان يسيل من زاوية فمها، حاولت التحدُث لكنها كانت





أضعف من أن تنطق. قال لها وهو يحتضن رأسه بين يديه: «سأحملك وصولًا للقرية»

هزت رأسها، انتبه لشحوب بشرتها، للدماء التي لوثت المكان بأكمله، حاولت أن تتحدث. هذه المرة كانت أكثر إصرارًا وهي تقاوم ألمها، حاربت ملك الموت لتنطق بكلمتها الأخيرة: «أحبك»

أغلقت عينيها وروحها تعود إلى بارئها. سقط دموعه على وجهها وهو يحتضن رأسها ويصرخ بألم. قبل رأسها وعيناه تغرورقان بالدموع. بكي كثيرًا وهو يحتضنها. شعر بمرارة الفقد تغزو حلقه لتترك له إحساسًا مُرًا لن ينساه قط. ترك رأسها يستريح أرضًا وهو يزحف نحو جذع الشجرة المجاور لها ويريح ظهره عليه. كاد يفقد وعيه حُزنًا وألمًا لكنه تحامل على نفسه وهو يُمسِك بحجر حاد من الأرض، نحت على الشجرة حرفين مُتماثلين ومُتداخلين. ترك الحجر وهو يفقد وعيه بألم وكتفه مازال ينزف بقوة.

تاركًا النحت الصغير من خلفه يراقب المشهد الحزين.

(ح ح)

(١٤)

(مُستشفى!)

تأوه حلمي بشدة وهو يشعر بالألم يغزو كُل خلاياه. يؤلمه كتفه تحديداً بشدة نتيجة طعنة سيف المغلاوي، تأوه مرة أخرى وهو يحاول أن يعتدِل. تنبهت حواسه بدهشة أنه في مكان هادئ. لم تكن القرية هادئة هكذا من قبل. كذلك شعر بشيء ناعم مُريح تحت ظهره، الرائحة كذلك تُشبه رائحة المُستشفيات للغاية، انقبض قلبه حين تذكّر رائحة المُستشفيات. سمع صوتًا رقيقًا يقول بهدوء: «يبدو أنه على وشك الاستيقاظ»

كان صوتًا أنثويًا لم يسمعه من قبل، حاول أن يفتح عينيه لكن الضوء الصناعي الأبيض أغشى عينيه بشدة مما أجبره على إغلاقهما مرة أخرى، لكن عقله انتبه بشدة، ضوء صناعي؟!

يبدو أنه في مكان متطوّر، ليس في القرية التي تنبذ التكنولوجيا والتطوّر. حاول أن يرفع يده ليضعها أمام عينيه لكن صرخ كتفه بألم مما أجبره على نسيان الأمر، لكنه كان يريد أن يعرف أين هو، انتبه عقله لشيء آخر. ربما هذا المكان المتطوّر استطاع إنقاذ حياة حسناء، حاول أن ينطق





لكنه انتبه أن جهاز تنفس صناعي يغطي نصف وجهه. تأوه بشدة وغضب. لم يستعد رؤيته الواضحة بعد لكنه رأى ظل شخص ينحني فوقه ويرفع قناع التنفس عنه وجهه. نطق بصعوبة وبألم. صوته خافت للغاية، لكنه نجح في التحدُث بكلمة واحدة حملت تساؤلًا عميقًا: «حسناء؟»

بدأ يستعيد رؤيته مرة أخرى. رأى سقفًا أبيض اللون يزينه مصباح أبيض فلورسنتي ينير الغُرفة بأكملها. تقف أمامه مُمرضة متوسطة الجمال تحمل بيدها سجل المرضى، خلفها باب مفتوح يظهر منه ممر نظيف تمامًا. بدأ يتلفت حوله ببطء. رأى الأجهزة الطبية تُحيط به من كُل مكان، كتفه مربوط بشاش أبيض تظهر فيه بقعة دم باهتة للغاية، محلول طبي مُعلق بكانيولا بيده اليُسرى، ينام على سرير طبي مُريح للغاية.

قلبت المُمرضة عدة أوراق قبل أن تنظر له ببلاهة وهي تسأله: «ماذا قُلت؟»

قال بضعف: «حسناء»

ظهرت عليها علامات الخجل وهي تقول له: «شُكرًا لك»

غضب وهو يقول بوهن: «ليس أنتِ، أين حسناء؟»





قلبت في الأوراق مرة أخرى بإحراج قبل أن تقول: «حسناء من؟ أتيت للمُستشفى بمُفردك»

«كانت بجواري، كانت تحتضر بجواري؟»

«لم نجِد غيرك في السيارة يا سيدي!»

انتبه فجأة لحادث السيارة الذي تناساه تمامًا. لكن كلام الممرضة ليس منطقياً، حسناء لم تكُن بجواره في الحادث. كانت بجواره في الغابة بعد أن أنهى قتاله مع مغلاوي. قال بغضب: «حسناء ومغلاوي كانا بجواري في الغابة. هي كانت تحتضر، وهو كان ميتًا، لم نكُن في سيارة!»

قالت وهي تنظر نحو ورقة مُعينة: «مذكور أمامي أنك كُنت في حادث سيارة بسبب العاصفة. وجدوك بمفردك في السيارة المُحطمة تمامًا، كُنت تعاني من بعض كسور وجروح وكدمات. كان قائم السيارة مغروسا في كتفك تمامًا وكُنت تُعاني من ارتجاج خفيف في المُخ»

نظر نحو كتفه بدهشة قبل أن يقول لها: «لا، هذا الجرح كان بسبب السيف. سيف مغلاوي»

قالت بحيرة: «سيف؟، لقد ولي زمن السيوف يا سيدي!»





صرخ بغضب: «اغربي عن وجهي.. أريد شخصاً عاقلًا أتحدث معه»

كانت معتادة على حالات الغضب الغير مبررة من المرضى وكانت تعتبرها من مساوئ وظيفتها. خرجت من الغرفة لتأتي له بالطبيب المسؤول عن حالته.

* * *

دخل الطبيب إلى الغرفة بهدوء وهو يبتسم بلين. نظر لحلمي الذي كان ينتظره بلهفة وهو يقول: «حمداً للّه على سلامتك يا بطل، لقد كُتِب لك عمراً جديداً»

سأله حلمي بغضب: «أين حسناء؟»

«أخبرتني الممرضة بما تقول، تحدثت عن فتاة ورجل كانا يموتان بجوارك وعن إصابة بنصل سيف. لكن يؤسفني أن أخبرك أن أيّاً من هذا لم يحدث. في بعض الأحيان تكون الهلاوس جزء من أعراض الإصابة بارتجاج في المخ. من الممكن أنك تخيلك وجود حسناء تلك بجوارك، لكنني أؤكد لك أنك كنت وحيداً»





انفعل حلمي وصاح بغضب: «وأنا أؤكد لك أنني لست مجنونًا»

أشار له الطبيب وقد ظهرت علامات الجدية على وجهه: «إما أن تهدأ قليلًا أو سأضطر بحقنك بمُهدئ، الخيار لك»

قرر حلمي أن يهدأ قليلًا وهو يشرح للطبيب ما حدث. أخبره عن حسناء وماجد ونجيب. حدثه عن الشيخ محمود وعن القرية وقوانينها، عن الأيام الخمسة التي قضاها هناك، عن حربه في أول أيامه ضد عمالقة الظلال، عن هزيمتهم لأبناء التُراب، عن انتصارهم على كوابيسهم، عن تغلبهم على النداهة الكاذبة، وعن الأرواح العائدة من الموت مرة أخري، عن ديكاراب ومغلاوي والساحر العائد من بعيد أحمد الشتيوي.

حين انتهي من الكلام وجد نفسه يتنفس بصعوبة من فرط الحماس. لكن علامات خيبة الأمل ظهرت على وجه الطبيب وهو يقول: «يا إلهي، يبدو أن الأمر أسوأ مما اعتقدنا»

صمت قليلًا قبل أن يقول بهدوء: «سأضطر لتحويلك لقسم الطب النفسي»





شعر حلمي أن الأمور تهرب من تحت سيطرته. قال بإبتسامة هادئة تُخفي تحتها أطنانًا من الكذب: «يبدو أنني كُنت أحلم أثناء وجودي في الغيبوبة»

نظر له الطبيب بشك، قبل أن يقول: «بالطبع كُنت تحلم، أنت تقول أنك كُنت في قريتك العجيبة تلك لمُدة خمس أيام أو يزيد، أليس كذلك؟»

هز حلمي رأسه وهو يقول: «تقريبًا»

أعطاه الطبيب تقريره الطبي ليقرأ التاريخ من عليه وهو يقول: «أنت هُنا منذ يوم واحد فقط»

قرأ التاريخ بأعين تتسع ذعرًا. توقف عقله عن العمل، شعر بالغباء يغمر جسده بأكمله، تاريخ اليوم يزين التقرير الطبي. وهذا يعني أن يومًا واحدًا فحسب قد مر، لم يفهم الأمر. لقد قضى في الغابة وسط رجالها خمس أيام بأكملها، لكن طبقًا للتقرير الطبي لم يمُر عليه سوى يوم واحد فحسب في غيبوبته. تذكّر حديثه السابق مع أحدهم عن عدم وجود سيارته بجواره، هناك العديد من الأدلة والبراهين تقول أن كلام الطبيب هو الأصح. ابتسم وهو يقول للطبيب: «حسنًا، لقد اقتنعت، متى أستطيع الرحيل من هنا؟»



قال الطبيب بارتياح: «سأطلب منك البقاء للغد فحسب، كي نتطمئن أن كُل الأمور على ما يُرام، لكن عليك أن تتابع حالتك الصحية مع طبيب تثق به»

طمأنه ووعده بابتسامة مُصطنعة، كان عليه أن ينتظر الصباح.

وبفارغ الصبر.

* * *

ولأن سيارته كانت قد تحطمت تمامًا، توجه لأقرب مكتب لإيجار السيارات واستأجر سيارة صغيرة. منحوه إياها بعد أن ذيل شيكًا بتوقيعه المُميّز. ركب السيارة وتوجه بسُرعة نحو مكان الحادث، المكان الذي انقلبت فيه سيارة ثلاثة عشر انقلابا، وصل للمكان وصف السيارة على جانب الطريق، حاول أن يتذكر الاتجاه الذي انقلبت فيه السيارة، بحث طويلًا حتى وجد آثار الحادث. مشى وسط الأشجار يبحث عن القرية، عن الأكواخ، عن الشيخ محمود وماجد، عن حسناء وأحمد الشتيوي، لكنها كانت غابة من أشجار لا تحوي أية أكواخ.

بحث طويلًا، كالمجنون، كادت الشمس تغرب، وهو يبحث منذ الصباح بدون أي فائدة. بدأ يقتنع أن





عقله كان يخدعه، أن الأمر بأكمله كان من تأثير الارتجاج الذي أصابه. يبدو أن الطبيب كان مُحقًا، تحسس الجرح الموجود في كتفه وهو يقول لنفسه: «يبدو أن قائم السيارة هو الذي جرحني»

ابتسم وهو يطمئن نفسه أن الأمر كان أحد الألاعيب العقلية التي مارسها عقله عليه فحسب.

كاد يرحل ويترك الغابة بأكملها لولا أن عينيه وقعت على شيء جمّد الدماء في عروقه.

رأى شيئًا يعرفه جيداً.

رمزًا نحته بنفسه على إحدى الأشجار في نهاية المعركة.

هبط ليتأكد بنفسه.

رآه بعينيه.

كان ينتظره ليؤكد له أنه كان هنا، كانوا جميعًا هنا.

تحسّس بيده الرمز المنحوت على الشجرة.

(ح ح)





* * *

ركب سيارته وجلس فيها بحيرة، لا يفهم ما يحدث. تقول تقارير المُستشفى أنه ظل حبيسًا لغيبوبته مُدة لا تزيد عن يومًا واحدًا، لكنه رأي بأم عينيه الرمز الذي نحته على الشجرة. هناك شيء خاطئ، يبدو أنهم يخدعونه، لكن لماذا سيخدعونه؟

هل هُم من أتباع ديكاراب؟

هل انتصر ديكاراب على أحمد؟

بالطبع لا. لقد سمع صوته يزأر بألم قبل أن يختفي تمامًا، كما أنه قتل المغلاوي بيديه، لقد انتهت أسطورة ديكاراب للأبد وبلا رجعة.

لكن هناك شيء خاطئ.

عليه أن يفهم.

عليه أن يفهم.

عليه أن يفهم.

حسنًا، هناك طريقة واحدة للفهم، طريقة واحدة ليعرف حقيقة الأمر.





طريقة واحدة يجب أن ينفذها.

ضغط دواسة البنزين في سيارته وهو ينطلق بها بسُرعة. راقب مؤشر السُرعة بعينيه، سُرعة السيارة تزداد وهو يضغط دواسة الوقود بلا رحمة أو هوادة.

انحرف بالمقود فجأة وهو يرفع فرامل اليد، وكانت النتيجة حتمية لا رجعة فيها. بدأت السيارة تنقلب مرة أخرى، تهشمت بعُنف وهي تنقلب، أغلق عينيه وترك جسده يسترخي، لو أن خطته نجحت سيفهم كُل ما حدث.

ويبدو أنه كان مُحقًا.





## (١٥)

## (التفسير)

فتح عينيه بألم. كان ما زال داخل السيارة المُهشمة تماماً. خرج من نافذتها بصعوبة، جرح كتفه كان يصرُخ بألم وقد امتلأ بالدماء مرة أخري، يده اليُسرى تهشمت تماماً، قدمه مليئة بالجروح. الدوار يسيطر على رأسه. الدماء المُتساقطة من جرح ضخم في رأسه تعوق عينه اليسرى عن الرؤية

لكن بجوار السيارة وبالقرب من الرمز الذي نحته على جذع الشجرة كان يقف شخص يرتدي جوالًا من الخيش. عرف فيه الشيخ محمود فوراً، ناداه بصوتٍ خافت، إلتفت له الشيخ محمود وهو يقول: «أهلًا يا ولدي، أتيت لتفهم»

«كان يجب أن آتي وإلا كُنت سأجن»

«ساعدتنا على الخلاص يا ولدي»

«كيف يا شيخ محمود، يقولون في المُستشفى أنني كُنت في الغيبوبة ليوم واحد فقط!»

«هذا صحيح يا ولدي»





«لكنني قضيت معكم خمسة أيام أو يزيد»

«هذا أيضًا صحيح يا ولدي»

«كيف؟ أنا لا أفهم»

«مصائر الأقدار طويلة، أطول حتى من حياة بشرية واحدة»

«ما زلت لا أفهم!»

«ستفهم، يا ولدي كُل ما أخبرناك به صحيح، لكن هناك بعض الأمور التي حرصنا على إخفائها عنك. استعان ديكاراب بالمغلاوي واستطاع قتلنا بالكامل وبأبشع الطرق التي يُمكن أن تتخيلها. قتل كُل سكان القرية بلا أية استثناءات، لكن أرواحنا علقت هنا. كان يجب على غريب أن يفتح باب اللعنات كي يُساعدنا على التحرُر والخلاص. لو أن ديكاراب انتصر عليك كُنت ستنضم لنا. ستعيش روحًا عالقة لا ترتاح، لكنك نجحت في هزيمتهم. أغلقت باب اللعنات، فتحت لنا بابًا من رحمة، حررت أرواحنا العالقة لتعود، لترتاح»

«لكن يا شيخ محمود الروح تصعد لبارئها!»





«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» «يجب أن تتقبل حقيقة أنك بشر، أن هناك بعض الأمور الموجودة في الكون لن تخضع لمنطقك الضعيف، يجب أن تقتنع أن كُل شيء بيد رب الكون وليس بيدك»

«ونعم بالله يا شيخ محمود، لكن بعضكم كان يموت أثناء المعارك والقتال»

«التاريخ يتكرر يا ولدي، تلك لعنة أخرى أنت خلصتنا منها. كُل من مات أثناء حربنا الأولى قبل أن ينتصر علينا ديكاراب ويقتلنا جميعًا، كان يموت، التاريخ يُكرر نفسه»

«والرمز؟»

«استخدمت البقة الباقية من قوتي وطاقتي لأرسمه أنا بنفسي، كي يكون دليلًا لك لتفهم أن ما حدث كان حقيقيًا»

«لكن حسناء...»

«كانت تُحبك»

«وما زلت أحبها»





«أعلم يا ولدي»

«أما من طريق للقاء؟»

«هناك طريق واحد»

«ما هو؟»

«عليك أن ترحل يا ولدي»

شعر حلمي بألم هائل في صدره. لم يعُد يرى بوضوح، الأمور تتغيّر، هناك شيء يحدث.

«ما هو يا شيخ محمود؟»

«عليك أن ترحل يا ولدي»

للمرة الثانية يتكرر الألم ليعتصر صدره، الرؤية ضبابية. لا يرى بوضوح، الشيخ يختفي من أمامه، صوته ضعيف يأتيه من بعيد.

يسأله بفزع: «ما هو الطريق؟»

يأتيه الرد ضعيفًا: «عليك أن ترحل»

يشعر بالألم للمرة الثالثة، هذه المرة يفتح عينيه وهو يشهق بعُنف. يرى جهاز الصدمات الكهربائية





بيد طبيب، يُميّز أنه داخل سيارة إسعاف تتحرك بسُرعة كبيرة، قال له الطبيب بقلق: «لقد فارقت الحياة لمُدة خمسون ثانية»

بتنفس بصعوبة، يؤلمه صدره من أثر الصدمات الكهربائية، يشهق بعُنف. لم يعرف الطريق، يحاول أن يصرُخ: «عليّ أن أعرف الطريق»

يشعر بألم في يده اليُسرى، ينظر لها ليرى المُمرضة وهي تحقنه بشيء لم يُدرك ماهيته، لكنه شعر بتأثيره، شعر بالهدوء يسري في أوصاله.

لم يعرف الطريق.

لكنه عاد للحياة وقد فهم وعرف.

فهم وعرف سر باب اللعنات.

النهاية

ما بعد النهاية

بعد مرور سنة كاملة:

يجلس حلمي عالي الصدر مُستنداً إلى حائط بارد. لا يبدو أنه يهتم كثيراً لأمر البرد الذي يخترق جسده،





لحيته طويلة مُشعثة، فقد الكثير من وزنه. تحتل أسفل عينيه هالات سوداء ضخمة مُحملة بالكآبة والحُزن.

لم ينساها، لا يستطيع قلبه أن يُكمِل. عليه أن يجدها، توقفت حياته بأكمله عند لحظة فراقها، حتى لو كانت مُجرد روح عالقة، أخبره الشيخ محمود أن هناك طريقًا للقاء.

مد يده تحت الوسادة وهو يُخرج مُسدس سميث بكرة. تحمل خزانته رصاصة واحدة فحسب. أخرج البكرة من مكانها وهو يتأمل الرُصاصة الوحيدة التي تملأ واحداً من الفراغات. لف البكرة بيده وهو يغلقها فجأة، لا يعرف مكان الرصاصة.

نظر للسماء وهو يقول بهمس: «عليّ أن أعرف، لو كان مُقدرًا لي أن أموت لتتلاقي أرواحنا. سأكون محظوظًا وستخترق الرصاصة رأسي، أما لو لم أكن محظوظًا ستُتاح لي فرصة للحياة مرة أخرى»

رفع المُسدس إلى فمه. فتح شفتيه ووضع فوهة المُسدس بينهما، أغلق عينيه بشدة وهو يضغط الزناد.

.....